عمر اعراب

يوسف بن تاشفين في التاريخ

بحث جامعي تخرجي 1436هـ/2015م

إهـــــداء

إلى كل من يبتغي عز الإسلام والمسلمين

إلى كل من يقرأ التاريخ استخلاصا للتجارب والدروس

وإعدادا للمستقبل

أهدي هذا العمل المتواضع....

الـــــــمـــــــــــــؤلـــــف

المقدمة

تناولت في هذا العمل؛ الذي هو عبارة عن بحث في موضوع شخصية بارزة في تاريخ المغرب خصوصا و تاريخ الأمة الإسلامية عموما، ألا وهي شخصية يوسف بن تاشفين من خلال الكتابات التاريخية، وما ذكرت عنه و عن سيرته و بطولاته وإنجازاته، و آثار سياساته التي أحدثت تحولا هائلا وعميقا في منطقة المغرب و الأندلس، في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وسعيه إلى توحيد المغرب بعد أن كان قد تمزق إلى كيانات و إمارات متعددة و منحرفة، فعمل على إخضاعها سياسيا تحت سلطة مركزية، و مذهبيا فكريا على منهج أهل السنة و الجماعة، بالإضافة الى إنقاذ الأندلس من الممالك النصرانية بعد أن زحفت على شمالها مهددة الإسلام هناك، ليتمكن من ضم الأندلس إلى المغرب تحت قيادة دولة المرابطين التي حكمت الغرب الإسلامي و عاصمتها مراكش.

وقد دفعتني أسباب ودواعي عدة للخوض في حياة يوسف بن تاشفين كموضوع للبحث والدراسة، لكون هذا الأخير شخصية فاعلة في تاريخنا؛ لكنها لم تحظى بقدر كبير من الاهتمام لدى العامة، فتجد الناس لا تكاد تعرف عنه شيئا رغم ترددها في مسامعها، فالكثير يعرف عن صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي هزم الصليبيين وحرر القدس، ولا يعرف شيئا عن يوسف بن تاشفين الذي أنقد الأندلس وانتصر على الصليبيين الإسبان، فيوسف المغرب هذا لا يقل أهمية وعظمة وشأنا عن يوسف المشرق ذاك، فيوسف بن تاشفين يعتبر من عظماء الإسلام ومن القادة التاريخيين الذين جددوا للأمة دينها، وهو خير مثال للأمير المجاهد، والعالم العامل والقائد الرباني، ما يجعله من الواجب أن يحظى باهتمام واسع وقدر كبير من

الدراسة، وقد اطلعت على بعض من المصادر والمراجع التي تشكل كتابات تاريخية عن هذه الشخصية، فمنها مغربية ومشرقية، ومنها الأصلية والحديثة، مما أدى بي إلى الخروج بفرضيات عديدة، فتساءلت عن كيفية وصف هذه الكتابات المختلفة ليوسف بن تاشفين؟ سواء كانت المعاصرة له أوالتقليدية لمؤرخين كبار من أمثال عبد الرحمن بن خلدون، وابن أبي زرع الفاسي، وابن الأثير، وابن خلكان، وابن العذاري المراكشي، وصاحب (الحلل الموشية) وغيرهم، بالإضافة إلى المصادر المتأخرة كالناصري، ثم الدراسات الحديثة والاستشراقية منها والتي استمدت من السابقة؟ وإلى أي حد وصلت هذه الكتابات في دراسة سيرة ابن تاشفين؟ وما أوجه التشابه والاختلاف بين هذه الكتابات المتعددة؟ وما هي الصورة التي خلصت إليها هذه الكتابات حول يوسف بن تاشفين كشخصية عظيمة ومؤثرة في سيرورة التاريخ الإسلامي؟

وبناء على ما جمعته وقمشته حول هذا الموضوع، وضعت لهذا البحث تصميما يتكون من ثلاث فصول رئيسية:

الفصل الأول: بعنوان يوسف بن تاشفين في المصادر الأصلية، قمت بتقسيم هذا الفصل إلى سبعة مباحث:

المبحث الأول ذكرت فيه نسبه وصفاته ونبوغه، والمبحث الثاني تناولت فيه انتقال يوسف بن تاشفين من قيادة الجند إلى حكم الدولة، وفي المبحث الثالث بعنوان بناء حاضرة مراكش، وفي المبحث الرابع أبرزت فيه دخول فاس واستكمال وحدة المغرب، وفي المبحث الخامس تطرق إلى الجواز نحو الأندلس وموقعة الزلاقة، وقد تناولت في المبحث السادس ضم الأندلس وتوحيد الغرب الإسلامي، عنونت المبحث السابع بأمير المسلمين وناصر الدين.

الفصل الثاني: الذي يحمل عنوان الدراسات الحديثة حول يوسف بن تاشفين، وقد فصلته إلى سبعة مباحث، المبحث الأول بالإشارة إلى نشأته وبداياته، والمبحث الثاني بتوليه مقالد الحكم والإمارة، وتطرقت في المبحث الثالث إلى تأسيس مراكش والدخول إلى فاس، وفي المبحث الرابع إلى وقعة الزلاقة والجواز الأول للأندلس، أما في المبحث الخامس فقمت بالإشارة الى الجواز الثاني والثالث وحكم البلاد، والمبحث السادس معنون ببطل الغرب الإسلامي وسلطان العدوتين، وقد عالجت في المبحث السابع لقب أمير المسلمين والشرعية في الحكم.

الفصل الثالث: تحت عنوان الصورة الكاملة ليوسف بن تاشفين و هو بدوره منقسم إلى سبعة مباحث، المبحث الأول بعنوان الأمير القدوة وأحد عظماء الإسلام، ثم المبحث الثاني: المؤسس الفعلي لدولة المرابطين، و تحدثت في المبحث الثالث عن الظروف التاريخية العامة في عهده، أما في المبحث الرابع و الذي عنونته ببطل معركة الزلاقة الشهيرة، و في المبحث الخامس تطرقت إلى توحيده للمغرب

الإسلامي و علاقته مع المشرق الإسلامي، و عالجت في المبحث السادس الجهاد تحت راية الخلافة العباسية، ثم المبحث السابع الذي يحمل عنوان سيرة الخلفاء الراشدين.

وبذلك أكون قد وصلت إلى الختام بخلاصة، مفادها أن الكتابات التاريخية بمختلف أنواعها ومشاربها قد أظهرت القائد يوسف بن تاشفين، وسيرته العطرة، وشخصيته الفذة والعظيمة مبلغ رجل مسلم حاكم عادل في رعيته، سلك طريق ودرب المجد والعز والإصلاح ونصرة الدين في زمان ومكان كانا بحاجة ويفتقدان لمثل هذا الرجل، ليصير بعد هذا من أبرز الرموز التاريخية للإسلام في حقبة العصر الوسيط. ونرفع توصيتنا إلى الجهات المعنية بالأمر، ونخص بالذكر وزارة التربية والتكوين المهني ومسؤوليها، إلى ضرورة إدراج دروس حول شخصيات تاريخية كيوسف بن تاشفين في مناهج التعليم والتعلم، قصد التحسيس والتوعية بالتاريخ المشرف والمجيد، واستحضار الذاكرة والهوية، وربط الماضي بالحاضر من أجل استشراف المستقبل.

الفصـــل الأول

يـوسف بـن تـاشفـين في الـمصـادر الأصلـيـة

تمهيد:

تحدثت المصادر التاريخية المعاصرة ليوسف بن تاشفين، عن سيرته ومراحل حياته عبر نصف قرن من الزمن، فقد أشارت هذه الكتابات التقليدية إلى يوسف كواحد من الأبطال العظماء في تاريخ الإسلام، وتناولت تفاصيل حياته الجهادية والقيادية؛ منذ أن كان قائدا في جيش المرابطين إلى تولي إمارة الدولة، وحكم المغرب الأقصى ثم الجواز إلى الأندلس وهزيمة النصارى فيها، ومن تم اتخاذه لقب أمير المسلمين وناصر الدين كلقب تميز به عبر هذه الكتب التي تعتبر مادة مصدرية خامة.

وتعددت هذه المصادر والكتابات؛ إلى كتابات في التاريخ العام لمؤرخين في المغرب من أمثال ابن خلدون، وابن العذاري المراكشي، وابن أبي زرع الفاسي، وعبد الواحد المراكشي، وأحمد المقري التلمساني، إضافة إلى احمد بن خالد الناصري، وفي الأندلس كالمؤلف المجهول صاحب الحلل الموشية، أما في المشرق فنجد الحافظ ابن الأثير وجلال الدين السيوطي، كما أن من ضمن هذه الكتابات كتب السير والتراجم، فتنوعت إلى مشرقية وأندلسية؛ فالأولى كمؤلف شمس الدين الذهبي، وابن خلكان، وابن عماد الحنبلي، والثانية كلسان الدين بن الخطيب. وبالرغم من اختلاف هذه الكتابات المصدرية وتنوعها إلا أنها أجمعت على أمر واحد، وذكر شخص واحد، وهو يوسف بن تاشفين كقدوة ونموذج للقادة التاريخيين، من الذين استطاعوا أن يسطروا التاريخ بجهودهم وإنجازاتهم، التي هدفت إلى نصرة الإسلام ونصرة الدين في التاريخ الوسيط.

المبحث الأول: نسبه، صفاته ونبوغه.

تعود أصول يوسف بن تاشفين إلى قبائل صنهاجة في شمال إفريقيا، وهي قبائل أمازيغية متعددة تنتشر في بلاد المغرب الكبير موزعة إلى عشائر مختلفة وسلالات متعددة، يقول ابن خلدون حول صنهاجة وحكايتهم: **"**هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالفقر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدوا في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها. فأسحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها واعتاضوا منها بألبان الأنعام ولوحمها انتباذا عن العمران، واستئناسا بالإنفراد، وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر. فنزلوا من ريف الحبشة جوارا وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا، واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم، وعفوا في تلك البلاد وكثروا. وتعددت قبائلهم من كذالة فلمثونة فمسوقة فتريكة فنوكا زغاوة ثم لمطة إخوة صنهاجة كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس من قبلة طرابلس وبرقة ليبيا. وللمتونة فيهم بطون كثيرة منهم بنو ورتنطق وبنوزمال وبنوصولان

وبنوناسجة [...] وكانت الرياسة فيهم للمتونة واستوسق لهم ملك ضخم منذ دولة عبد الرحمن بن معاوية الداخل توارثه ملوك منهم: تلاكاكين وورتكا أوراكن بنو ورتنطق جد ابي بن عمر أمير لمتونة في مبتدأ دولتهم، وطالت أعمارهم فيها إلى الثمانين ونحوها ودوخوا تلك البلاد الصحراوية "[1].

وقد تحدث عنهم الناصري قائلا: "وموطن هؤلاء الملثمين أرض الصحراء الرمال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان، ومساحة أرضهم ما بين سبعة أشهر طولا وأربعة عرضا وفيهم قوما لا يعرفون حرثا ولا زرعا، إنما أموالهم الأنعام وعيشهم اللحم واللبن يقيم أحدهم عمره لا يأكل خبزا إلا أن يمر ببلادهم التجار، فيتحفونهم بالخبز والدقيق وإنما قيل لهم الملثمون لأنهم يتلعثمون ولا يكشفون وجودهم أصلا "[2].

وهناك من يذهب بأن أصل القبائل الصنهاجية من المشرق، وقد إنتقلوا إلى المغرب عن طريق الهجرة كما يورد ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ)، " وهم عدة قبائل ينسبون إلى حمير، أشهرها: لمتونة، ومنها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، وجدالة ولمطة. وكان أول مسيرهم من اليمن، أيام أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، فسيرهم إلى الشام وانتقلوا إلى مصر، ودخلوا المغرب مع موسى بن نصير، وتوجهوا مع طارق إلى طنجة، فأحبوا الانفراد، فدخلوا الصحراء واستوطنوها إلى هذه الغاية "[3].

وينتسب يوسف بن تاشفين إلى قبيلة لمتونة أحد فروع صنهاجة، وقد ذكر علي بن أبي زرع الفاسي نسبه الطويل، بحيث يقول "يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن ورتانطق بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتملي بن تليت الحميري الصنهاجي من ولد عبد الشمس بن وائل بن حمير. أمه حرة لمتونية بنت عم أبيه اسمها فاطمة بنت سير بن يحيى بن وجاج بن ورتانطق المذكور"[4]، وقد بين المؤرخون صفاته الخلقية والخلقية؛ وذكر في كتاب (سير أعلام النبلاء) للذهبي متحدثا عن أخلاق يوسف، "فطلع بطلا شجاعا شهما عادلا مهيبا[...] كثير العفو، مقربا للعلماء، وكان أسمر نحيفا خفيف اللحية، دقيق الصوت، سائسا، حازما[...] وفيه بخل البربر"[5].

ويقول صاحب مؤلف (الحلل الموشية) في نسب يوسف وعائلته: "هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورقيت بن ورتاقطن بن منصور بن مصالة بن مانية بن ونمالي، الصنهاجي الحميري وفي إبراهيم يجتمع

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1421هـ-2000م، ج.6، ص. 241.

[2] أحمد الناصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق محمد عثمان، ط.2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ج.2، ص. 176.

[3] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق محمد العرب، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ-2005م، ج.2 ص.2057.

[4] علي بن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة الوراقة، الرباط، 1972م، ص. 136.

[5] شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الارنؤوط، ط.11، مؤسسة الرسالة، بيروت،1417هـ-1996م، ج.19، ص. 252-253.

مع ابني عمه الأميرين الذين قبله[...] وكنيته أبو يعقوب. بنوه: (أبو بكر) سير، وإبراهيم، وعلي— المولى بعده، وأبو الطاهر تميم، والمعز"[6].

وبالعودة إلى صفاته يذكر ابن الخطيب فيه وعن ما يتصف به من التقوى والحزم، "كان رحمه الله خائفا لربه كتوما لسره، كثير الدعاء والاستخارة، مقبلا على الصلاة، مديما للاستغفار، أكثر عقابه لمن تجرأ أو تعرض لانتقامه[...] يواصل الفقهاء ويعظم العلماء و يحض على العدل، ويصدع بالحق، ويعضد الشرع، ويحزم في المال، ويولع بالاقتصاد في الملبس المطعم والمسكن"[7]، ويضيف صاحب الحلل الموشية في وصف ابن تاشفين، "كان رجلا فاضلا، خيرا، زكيا، فطنا، حاذقا، نبيبا، زاهدا، يأكل من عمل يده عزيز النفس، ينيب الى الخير و الصلاح"[8]، كما يروي فيه ابن عماد الحنبلي، " كان عظيم الشأن، كبير السلطان، معتدل القامة، أسمر اللون"[9]، كما قال ابن خلكان:" وكان حازما سائسا للأمور ضابطا لمصالح مملكته، مؤثرا لأهل العلم و الدين كثير المنشورات لهم" [10].

والجدير بالذكر أن هؤلاء المؤرخون المعاصرين ليوسف بن تاشفين، سواء كانوا من أهل المشرق أو أهل المغرب والأندلس، قد أجمع معظمهم على نسب يوسف بن تاشفين وانتماؤه وأصوله وعصبيته، وكذلك صفاته الحميدة التي أهلته ليبلغ تلك المنزلة الرفيعة.

---

[6] مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار عبد القادر زمامة، ط.1، 1399هـ-1979م، ص. 252-253.

[7] ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط.1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1398هـ-1977م، ج.4، ص. 349.

[8] **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، م.س،1399هـ-1979م، ص. 252-253 ص. 81-82

[9] ابن عماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق عبد القادر الارنووط ومحمد الارنووط، ط.1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1420هـ-1989م ج.5، ص. 427.

[10] ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، ط.1، دار صادر، بيروت، 1398هـ-1978م ج.7، ص. 124-125.

المبحث الثاني: من قيادة الجند إلى حكم الدولة

1-يوسف القائد العسكري المرابطي

انخرط يوسف بن تاشفين في جيش المرابطين؛ بفضل نبوغه في المجال العسكري وتفرغه للجهاد، فاستطاع تولي قيادة الجند وتسيير القوات المرابطية نحو الشمال؛ قادمة من الصحراء في عهد الأمير أبوبكر بن عمر اللمتوني.

أورد الناصري في كتابه (الاستقصا)؛ متحدثا عن سنة 448 هـ:" ثم ندب المرابطين إلى غزو بلاد السوس والمصامدة فزحف إليها بجيش عظيم في الربيع الثاني من السنة المذكورة، وكان أبوبكر بن عمر رجلا صالحا ورعا فجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتوني[...]ففتح مدينة ماسة وتارودانت قاعدة بلاد السوس وكان بها قوم من الرافضة يقال لهم البجلية"[11]، وكانت هذه السنة بداية لدخول القوات المرابطية لأرض المغرب الأقصى، وكانت أيضا بداية لبزوغ نجم يوسف بن تاشفين كقائد للجيش المرابطي الذي فتح سجلماسة، فولي يوسف عليها كما يقول ابن خلكان:" وكان يوسف بن تاشفين مقدم جيش ابي بكر بن عمر الصنهاجي، وخرج من سجلماسة سنة أربعة وخمسين وأربعمائمة، وكان ابوبكر بن عمر قد اتى سجلماسة في سنة ثلاث وخمسين وحاصرها، وقتل أهلها أشد قتال وأخذها، ثم رتب عليها يوسف بن تاشفين وكان ما كان" [12].

وقد كان يوسف أبرز القادة في الجيوش المرابطية وهو الأقرب إلى ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر، ويتضح ذلك من خلال ما يروي عنه ابن الأثير:" لما ملك أبو بكر بن عمر سجلماسة استعمل عليها يوسف بن تاشفين اللمتموني، وهو من بني عمه الأقربين، ورجع إلى الصحراء، فأحسن يوسف السيرة في الرعية، ولم يأخذ منهم سوى الزكاة، فأقام بالصحراء مدة، ثم عاد أبو بكر بن عمر إلى سجلماسة، فأقام بها سنة، والخطبة والأمر والنهي له، واستخلف عليها ابن أخيه أبا بكر بن إبراهيم بن عمر، وجهز مع يوسف ابن تاشفين جيشا من المرابطين إلى السوس ففتح على يديه" [13].

وتابع يوسف فتوحاته تحت إمرة ابن عمه أبي بكر، من أجل نشر الإسلام الصحيح الذي جاءت به الدعوة المرابطية، لكن أبوبكر بن عمر سرعان ما رجع إلى الصحراء ،من أجل وقف القتال بين القبائل الصنهاجية هناك، ليترك القيادة لابن تاشفين، ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: " واستعمل على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين ونزل عن زوجه زينب بنت اسحق ولحق بقومه[...] وأقام يوسف بن تاشفين بأطراف

---

[11] أحمد الناصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، م.س، ص. 183.
[12] ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، م.س، ص. 130.
[13] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، م.س، ص. 2057-2058.

المغرب[...]فحينئذ سار يوسف بن تاشفين في عسكره من المرابطين ودوخ أقطار المغرب"[14]، وقد بين المؤلف المجهول للحلل الموشية هذا الأمر فقال: "و لما أخذ ابن عمه الأمير أبوبكر بن عمر في الحركة إلى الصحراء، حسبما تقدم ذكره أنفا، ولاه المغرب مكانه على صورة النيابة عنه، وقسم الجيش فترك له الثلث من لمتونة وانصرف بالثلثين معه داخلا إلى الصحراء، وذلك في سنة ثلاث وستين وأربعمائمة، فأقام بعده يوسف بن تاشفين مدبرا للأمور، قائما بالملك"[15]، و تحدث ابن العذاري المراكشي عن الصلة التي كانت بين يوسف وأبي بكر وهو في سدة الحكم، " وكان يكاتب الأمير أبي بكر بكل ما يصنع، فيشكره على ذلك وأبو بكر بن عمر في الصحراء يحارب جدالة حتى أخذ ثأره منهم في خبر طويل وتزوج يوسف بن تاشفين زينب النفزاوية في شهر شعبان المكرم من سنة ثلاث وستين بعد تمام عدتها ودخل بها وسرت به وسر بها وأخبرته بأنه يملك المغرب كله فبسطت آماله وأصلحت أحواله واعطته الأموال الغزيرة، فأركب الرجال الكثير، وجمع له القبائل أموالا عظيمة، فجند الأجناد وأخذ في جمع الجيوش من البربر والاحتشاد[...] بنفسه وبتدبير زوجه زينب في كل يوم مع امسه، حتى سلك أهل المغرب في قانون الضغط فتأتى بملكه ما لم يتأتى"[16]، ومن هذا يتضح أن لزوجة يوسف، دور في أخذه زمام الحكم بالمغرب في ظل غياب الأمير أبوبكر، هذا الأخير الذي سيعود من الصحراء بعد مدة من الغياب، حيث ذكر الناصري عودة أبو بكر ولقاءه ابن عمه يوسف، " فلما سمع الأمير أبوبكر بن عمر بما آل إليه أمر يوسف بن تاشفين وما منحه الله من النصر أقبل من الصحراء ليختبر أحواله[...]،خرج إليه يوسف تاشفين فلقيه على بعد فسلم عليه وهو راكب سلاما مختصرا ولم ينزل له ولا تأدب معه الآداب المعتاد فنظر أبوبكر إلى كثرة جيوشه، فقال له يا يوسف ما تصنع بهذه الجيوش: أستعين بها على من خالفني" [17].

وبهذا يكون يوسف بن تاشفين قد بسط نفوذه على المناطق المفتوحة في المغرب، كما أنه لم يكن مستعدا للتخلي عن منصبه لصالح ابن عمه أبي بكر العائد من الصحراء، رغم كون الأخير هو صاحب الحكم.

2 -ثاني أمراء دولة المرابطين

أدرك الأمير أبوبكر بن عمر قوة يوسف بن تاشفين وحسن إدارته أثناء غيابه، فقرر له التنازل عن الحكم في مشهد نادر يذكره الناصري: " فقال أبوبكر: إني قد وليتك هذا الأمر و إني مسؤول عنه فاتق الله تعالى في المسلمين واعتقني واعتق نفسك من النار ولا تضيع من أمور رعيتك شيئا فإنك مسؤول عنه والله تعالى يصلحك ويمدك ويوفقك للعمل الصالح والعدل في رعيتك وهو خليفتي عليك وعليهم تم ودعه و انصرف

[14] ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، م.س، ص. 245.
[15] **الحلل الموشية**، م.س، ص. 24-25.
[16] ابن العذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عباس، ط.3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج.4، ص.22.
[17] **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، م.س، ص. 189.

الى الصحراء"[18]، و في الأمر ذاته يسرد المراكشي في كتابه (البيان المغرب) قائلا: "وفي سنة خمس وستين واربعمائة كان وصول الأمير أبو بكر بن عمر من صحرائه الى مراكش، فوجد يوسف قد استبد بالمملكة واعجبته الامارة وطاعت له جميع البلاد الغربية، فعلم أنه مغلوب عليه، وعزم على تسليم الأمر إليه" [19]، وتنازل الأمير أبو بكر بن عمر عن سلطان المرابطين لابن عمه، ليستقر أمر الحكم ليوسف بن تاشفين، فنجد صاحب (الحلل الموشية) متحدثا عما بادر من أبي بكر، بعد تخليه عن رئاسة الدولة المرابطية،" وكتب إليه كتابا يعتذر فيه إليه، ويرغبه في قبول الهدية، ويقول له: كل ذلك قليل في حقك، فطابت نفس الأمير أبي بكر، وقال هذا خير كثير، ولم يخرج الملك من بيتنا، ولا زال عن أيدينا، فالحمد لله على ذلك، فناول إخوانه من تلك الخيرات، وانصرف إلى الصحراء، فأقام بها ثلاثة أعوام، والأمير يوسف ابن تاشفين يمده بالهدايا والتحف إلى أن قتله السودان المجاورون له في الصحراء"[20]، وفي (الأنيس المطرب) يروي لنا ابن أبي زرع، كيف تمت مبايعة يوسف كثاني أمراء اللمتونيين،" في سنة أربع وستون وأربعمائة وجه يوسف إلى أمراء الغرب و أشياخ القبائل من زناتة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر فقدموا عليه وبايعوه، فكسا جميعهم ووصلهم بالأموال، ثم خرج معهم ليطوف على جميع أعمال المغرب، ويتفقد أحوال الرعية، وينظر إلى سير ولاتهم وعمالهم فيه، فصلح على يديه بذلك كثير من أمور الناس"[21].

فصار يوسف بن تاشفين أميرا للمرابطين بصفة رسمية، بعد مبايعته من قبل الأعيان وأهل الحل والعقد، ورغم اختلاف المؤرخين حول سنة توليه الحكم ما بين عام 464 هـ و465 هـ، إلا أن الفرق لم يكن كبيرا؛ إذ صار يوسف ممسكا بدفة دولة المرابطين الناشئة، فبادر على بناء مؤسساتها وتمديد نفوذها على منهج الإسلام الصحيح ليصير بذلك أبرز حكامها.

الـمـبـحـث الـثـالـث: بـنـاء حـاضـرة مـراكـش

منذ أن استقرت أمور السلطة لصالح يوسف بن تاشفين، عمل على تأسيس مدينة تكون قاعدة لحكمه، وعاصمة لدولته الناشئة بالمغرب، وكانت هذه المدينة هي مدينة مراكش المعروفة؛ يقول الناصري عن مراكش لحظة بنائها:" فسمت همته إلى بناء مدينة يأوي إليها بحشمة وجنده وتكون حصنا له ولأرباب دولته فاشترى موضع مراكش ممن كان يملكه من المصامدة[...]، ثم نزل بالموضع المذكور بخيام الشعر وبنى مسجدا لصلاته وقصبة صغيرة لاختزان ماله ولم يبني على ذلك سورا[...]، فاختطها يوسف وبنى بها القصور والمساكن الأنيقة وهي في مرج فسيح وحولها جبال على فراسخ منها بالقرب منها جبل لايزال

---

[18] نفسه.

[19] المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، م.س، ص. 24.

[20] **الحلل الموشية**، م.س، ص. 28.

[21] ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، م.س، ص. 142.

عليه الثلج وهو الذي يعدل مزاجها" [22]، ويذكر عبدالواحد المراكشي سبب اختيار الموقع، وتسمية مراكش قائلا: " فتخيروها دار ملكهم لتوسطها البلاد وكانت إذا نزلوها غبطة لا عمران بها وإنما سميت بعبد أسود كان يستوطنها يخيف الطريق إسمه مراكش فاستوطنها البربر كما ذكرناه"[23]، وأورد ابن الأثير من جهته متحدثا عن هذا الموضوع،" ثم إنه قصد موضع مدينة مراكش، وهو قاع صفصف، لا عمارة فيه، وهو موضع متوسط في بلاد المغرب كالقيراون في أفريقية، ومراكش تحت جبال المصامدة الذين هم أشد أهل المغرب قوة، وأمنعهم معقلا، فاختط هناك مدينة مراكش ليقوى على قمع أهل تلك الجبال إن هموا بفتنة، واتخذها مقرا، فلم يتحرك أحد بفتنة " [24].

ويسرد ابن خلدون عن مراكش، وسنة تأسيسها وتصميم البناء الأول فيها:" واختط يوسف مدينة مراكش سنة أربع وخمسين وأربعمائة ونزلها بالخيام وأدار سورها على مسجد وقصبة صغيرة لإختزان أمواله وسلاحه، وكمل تشييدها وأسوارها علي ابنه من بعده سنة ست وعشرين وخمسمائة. وجعل يوسف مدينة مراكش لنزله ولعسكره وللتمرس بقبائل المصامدة المصيفة بمواطنهم بها في جبل درن"[25]، ويشير ابن خلكان في قوله عن أرض مراكش، وصاحبها، "اختط بالمغرب مدينة مراكش، وكان موضعا مكمنا للصوص وكان ملكا لعجوز مصمودية تمدنه منها"[26]، أما الذهبي فاختصر كلامه عن الموضوع: "فاختط مراكش في سنة(465) اشترى أرضها بماله الذي خرج به من صحراء السودان" [27].

وهناك من ينسب تشييد مدينة مراكش لأبو بكر بن عمر، أمثال صاحب (الحلل الموشية) الذي يحكي قائلا: "أن الأمير أبا بكر بن عمر بن إبراهيم بن تورقيت اللمتوني، لما خرج من الصحراء باللمتونيين، واحتلوا بأغمات وريكة، وكثر الخلق بها، وضيقوا على أهلها، وكانوا على حال صعبة، شكا أشياخ وريكة وهيلانة، إلى الأمير أبي بكر بن عمر، ما يلحقهم في ذلك من العناء والمشقة، وأنهو إليه المرة بعد المرة إلى أن قال لهم: عينوا موضعا نبني فيه مدينة إن شاء الله. فاجتمعوا أن يكون بناؤها بين بلاد هيلانة، وبين بلاد هزميرة، [...] وقالوا له: قد نظرنا لك أيها الأمير، موضعا صحراء، رحب الساحة، واسع الفناء، يليق بمقصدك"[28].

وقد أجمع معظم هؤلاء المؤرخين، على كون يوسف بن تاشفين، مؤسس حاضرة مراكش العريقة، وذلك بعد استخلافه أبو بكر بن عمر في حكم الدولة المرابطية، فصارت مراكش عاصمة للمرابطين ومركز دولتهم طول عمرها، وعاصمة لدولة الموحدين من بعدهم أيضا.

---

[22] الناصري، **الإستقصا**، م.س، ص. 191.
[23] عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، ط.3، 1383هـ-1963م، القاهرة، ص. 156.
[24] **الكامل في التاريخ**، م.س، ص. 2059.
[25] **تاريخ ابن خلدون**، م.س، ص. 245.
[26] **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، م.س، ص. 113.
[27] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، م.س، ص. 252-253.
[28] **الحلل الموشية**، م.س، ص. 15.

المبحث الرابع: دخول فاس واستكمال وحدة المغرب

أراد ابن تاشفين تطبيق مبادئ الإسلام، التي جاءت بها الدعوة المرابطية على يد مؤسسها عبد الله بن ياسين، فانطلق لاستكمال توحيد باقي المناطق الخارجة عن سيطرته في المغرب الشمالي، والتي كانت تحت سيطرة إمارات متعددة ومختلفة ذات مذاهب منحرفة، ولتحقيق ذلك كان لابد منه من إسقاط فاس أكبر حواضر المغرب أنداك.

1 – دخول فاس:

بدأ يوسف بن تاشفين يعد العدة لفتح مدينة فاس؛ التي كانت معقلا للمغراويين وعاصمة إمارتهم، ويسرد ابن خلدون هذا الاستعداد والتقدم نحو فاس، من طرف الأمير يوسف قائلا: **"**فزحف في عساكره المرابطين إلى فاس وجمع إلية معنصر ففضى جموعه، وارتحل يوسف إلى فاس وتقرى منازلها وافتتح جميع الحصون المحيطة بها، وأقام عليها أياما قلائل، وظفر بعاملها بكار بن إبراهيم فقتله. ثم نهض إلى مغراوة وافتتحها وقتل من كان بها من أولاد ونودين المغراوي، ورجع على فاس فافتتحها صلحا سنة خمس وخمسين وأربعمائة ثم رجع إلى غمارة ونزلهم وفتح كثيرا من بلادهم وأشرف على طنجة، [...] ثم رجع إلى منازلة قلعة فازاز، وخالفه منعصر إلى فاس فاستولى عليها وقتل عاملها**"** [29]، وأورد الناصري هذه الأحداث؛ حيث عاد بها إلى سنة 454 هـ، فقال: **"** فخرج بهم في حضرة مراكش قاصدا مدينة فاس فتلقته قبائل من زغاوة ولماية ولواتة وصدينة وسدراتة ومغيلة وبهلولة ومديونة وغيرهم في خلق عظيم فقاتلوه فكانت بينه وبينهم ملاحم عظام انهزموا فيها من بين يديه وانحصر بمدينة صدينة**"**[30].

وذكر المراكشي مجريات تحرير فاس في سنة 467 هـ، **"**جهز أمير المسلمين عسكرا جرارا وقدم عليه ابن عمه يحيى بن واسينوا اللمتوني، وأمره بمنازلة فاس فكان وصوله اليها عقب رجب الفرد من هذه السنة. وكان امراء فاس يومئذ ابناء حمامة، فقاتلهم يحيى قتالا شديدا سبعة أيام، وفي الثامن دخلها عنوة، مات فيها من اهل فاس بشر كثير فسلبت ديارهم ثم عفا عنهم وانحصر ابنا حمامة الفتوح ودوناس في قصرهما، ثم طلبا الأمان فعفي عنهما في نفسيهما، فكتب بفتح فاس وبأخبار الفتوح بن حمامة وأخيه الى الأمير يوسف بن تاشفين فأمر بتوجيههما حيث شاءا فاستوصى(؟) الفتوح مغيلة، واستولت لمتونة على مدينة فاس حرسها الله**"**[31].

---

[29] ابن خلدون، **العبر**، م.س، ص. 246.
[30] **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، م.س، ص. 122.
[31] المراكشي، **البيان المغرب**، م.س، ص. 28.

وقد كان لمدينة فاس فتحين اثنين؛ وبعبارة أخرى افتتحت وحررت مرتين، من طرف يوسف بن تاشفين، وتحدث ابن أبي زرع الفاسي عن الفتح الأول: **"** وارتحل إلى مدينة فاس، فنازلها بعد أن فتح جميع أحوازها، وذلك في آخر سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وأقام عليها أياما، فظفر بعاملها بكار بن ابراهيم فقتله وارتحل عنها إلى مدينة صفرو، فدخلها من يومه عنوة بالسيف وقتل أربابها أولاد مسعود المغراوي المالكين لها والقائمين بأمرها ثم رجع إلى فاس فحصرها حتى فتحها وهو الفتح الأول**"**[32]، ثم تابع متحدثا عن الفتح الثاني، **"** وفي سنة ستين وأربعمائة فتح يوسف جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف إلى طنجة وفيها فتح فاس الفتح الثاني وفي سنة إثنين وستين أقبل إلى مدينة فاس فنزل عليها بجميع جيوشه وشدد عليها بالحصار حتى دخلها عنوة بالسيف، [...] وكان دخول يوسف إياها يوم الخميس ثاني جمادى الآخرة سنة إثنين وستين وأربعمائة(18 مارس 1070 م) فلما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس حصنها وثقفها وأمر بهدم الأسوار التي كانت بها، بين المدينتين: عدوة القرويين وعدوة الأندلس وردهما مصرا واحدة**"**[33]، وقد أبرز صاحب (الحلل الموشية) الظروف الاستراتيجية والعسكرية، ثم الظروف العملية والسياسية لفتح فاس ومناطق أخرى في شمال المغرب، وهو يقول: **"** وفي سنة ست وستين وأربعمائة: فتح الأمير يوسف بن تاشفين مدينة مكناس، واستنزل منها الخير بن خزر الزناتي. وفي سنة سبع وستين وأربعمائة: فتح مدينة فاس، وكان أميرها لفتوح بن دناس من أبناء حمامة، ومن أحفاد زيرى بن عاطية الزناتي. وفي سنة ثمان وستين بعدها: فتح مدينة تلمسان، وكان أميرها العباس بن يحيى الزناتي**"**[34]. ودخل الأمير يوسف بنفسه مدينة فاس عام 462هـ بعد فتحها الثاني، وكذلك قلعة فازاز، ليكون بذلك قد قضى على إمارة مغراوة، تم بني يفرن، بعد سقوط إمارة بني خزرون بسجلماسة في يد المرابطين، في وقت سابق من هذا. وقد أكد المؤرخون على صعوبة دخول وتحرير فاس من قبل ابن تاشفين، حيث كان الاستيلاء على فاس ودخولها هو بمثابة فتح طريق نحو تحرير باقي المناطق الشمالية ببلاد المغرب، ويقول الناصري نقلا عن علي ابن ابي زرع الفاسي، متحدثا عن اتجاه ابن تاشفين إلى المناطق الأخرى من شمال المغرب، بعد تمكنه من فتح مدينة فاس، **"**وفي سنة خمس وستين بعدها غزاها يوسف مدينة الدمنة من بلاد طنجة فدخلها عنوة وفتح جبل علودان، وفي سنة سبع وستين وأربعمائة فتح يوسف جبال غياتة وبني مكود وبني رهينة وقتل منهم خلقا كثيرا وفيها فرق عماله على بلاد المغرب فولى سير بن أبي بكر على مدائن مكناسة وبلاد مكلاثة وفازاز وولى عمر بن سليمان على فاس وأحوازها وداود بن عائشة على سجلماسة ودرعة وولى ابنه تميم بن يوسف على مدينة مراكش وأغمات وبلاد السوس والمصامدة وتادلا وتامسنا**"** [35].

---

[32] علي بن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، م.س، ص. 139.
[33] نفسه، ص. 141.
[34] **الحلل الموشية**، م.س، ص. 28.
[35] **الإستقصا**، م.س، ص. 194.

2- تحرير الشمال المغربي

بعد الفتح الأخير لمدينة فاس، سار يوسف بن تاشفين لتحرير باقي الحصون والمدن بالمغرب الأقصى الشمالي والمغرب الأوسط، فقام بغزو مدينة تلمسان كما يبين المراكشي في قوله: **"** وفي سنة ثمان وستين وأربعمائة جهز أمير المسلمين يوسف بن تاشفين عسكرا ضخما وقدم عليه ابن عمه مزدلي اللمتوني وبعثه إلى مدينة تلمسان وكان أميرها يومئذ العباس بن يحيى أمير زناتة، فكتب أمير المسلمين إليه كتابا بالعفو عنه إن نزل بدون قتال، [...] فخرج من تلمسان فأنعم عليه الأمير مزدلي بمطلبه ووافقه في مذهبه**"** [36]، وكان قبل ذلك قد حرر مدينة مكناسة، حيث يتابع المراكشي في نفس المصدر،**"** وفيها بعث يوسف بن تاشفين عسكرا إلى الغرب قود عليه يطي بن إسماعيل ولما وصل إلى وادي بهت بعث رقاصا إلى أمير مكناسة الخير بن خزر الزناتي بأنه قد عفا عنه، [...] ودخل مكناسة وخرج الخير منها أميرها ومن كان معه من زناتة إلى موضع القناطير، وولي مكناسة بعد الخير بن خزر الزناتي الأفضل اللمتوني، ورحل ابن إسماعيل بعسكره مع الخير المذكور إلى مراكش، وأنعم عليه الأمير يوسف بكل ما أراد**"** [37] .

ولم يبقى ليوسف بن تاشفين بالمغرب الأقصى، سوى طنجة وسبتة اللتان كانتا تحت حكم الحاجب السكوت البرغواطي، وقد جاءت ظروف تحريرهما بإرسال المعتمد بن عباد نجدة أهل الأندلس، واشترط عليه يوسف ضرورة إخضاع كل من سبتة وطنجة، اللتان ترتبطان جغرافيا ومجاليا بشبه جزيرة الأندلس، وعمل المعتمد بإرسال أسطول بحري ساعد به يوسف على فتح المدينتين، تحت قيادة صالح بن عمران في جيش بلغ عدده اثنا عشر ألف من المرابطين، وعشرين ألف من القبائل، فاستولوا أولا على طنجة، وقتلوا الحاجب بعد رفضه الاستسلام سنة أربعمائة وسبعون هجرية، وبعد عامين تمكن المرابطون من غزو المغرب الأوسط، ودخول تلمسان حاضرة الزناتيين، وقتل صاحبها العباس بن يزناسن ثم تلمسان المغراوية سنة 474 هـ، ليمهدوا الطريق لإفتتاح وهران وجبل ونشريس.[38]

ويروي ابن خلدون عن فتوحات يوسف في المغرب الشمالي الأقصى، والمغرب الأوسط، قائلا:**"** ثم نهض يوسف بن تاشفين سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بعدها إلى الريف وافتتح كورسيف ومليلية وسائر بلاد الريف وخرب مدينة نكور فلم تعمر بعده ثم نهض في عساكره المرابطين إلى بلاد المغرب الأوسط فافتتح مدينة وجدة وبلاد بني زناسن ثم افتتح مدينة تلمسان، [...] ونزل بعساكره واختط بها مدينة تاكرارت بمكان محلته، وهو اسم المحلة بلسان البربر. ثم افتتح مدينة تنس ووهران وجبل ونشريس إلى الجزائر**"** [39].

---

[36] **البيان المغرب**، م.س، ص.29

[37] نفسه

[38] **الإستقصا**، م.س، ص.196

[39] **تاريخ ابن خلدون**، م.س، ص.248

وبهذا يكون يوسف قد تمكن من تحرير جميع مناطق المغرب الأقصى، وبعض منها في المغرب الأوسط، ووصل نفوذ دولة المرابطين إلى البحر الأبيض المتوسط مطلا على شبه جزيرة الأندلس، التي كانت تنتظر دورها وتستغيث بيوسف بن تاشفين وسيوف المرابطين المجاهدين.

المبحث الخامس: الجواز إلى الأندلس وموقعة الزلاقة

مع توالي سقوط الإمارات المتوزعة في المغرب على يد يوسف بن تاشفين، كانت بلاد الأندلس تعيش أوضاع أسوء من تلك التي كانت بالمغرب، فبعد انحلال الخلافة الأموية، انقسمت الأندلس إلى دويلات طائفية متناحرة، فيما سمي بملوك الطوائف، واستغل نصارى الشمال هذا الوضع فصاروا يتقدمون ويحتلون مدن المسلمين واحدة تلوى الأخرى إلى أن سقطت طليطلة عام 478هـ، ويحكي ابن الأثير عن هذا الحدث المهول فيقول: **"** في هذه السنة استولى الفرنج، لعنهم الله، على مدينة طليطلة من بلاد الأندلس، وأخذوها من المسلمين، وهي من أكبر البلاد وأحصنها. وسبب ذلك أن الأذفونش، ملك الفرنج بالأندلس، كان قد قوي شأنه، وعظم ملكه، وكثرت عساكره، منذ تفرقت بلاد الأندلس، وصار كل بلد بيد ملك، فصاروا مثل ملوك الطوائف، فحينئذ طمع الفرنج فيهم، وأخذوا كثيرا من ثغورهم [...] وسار إلى مدينة طليطلة فحصرها سبع سنين، وأخذها من القادر، فازداد قوة إلى قوته **"**[40]. وكان سقوط طليطلة إنذار خطر على الأندلس الإسلامية، مما دفع أهلها إلى الاستنجاد بيوسف بن تاشفين زعيم المرابطين القوة الصاعدة بالمغرب.

1- الجواز الأول

عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس ملبيا دعوة أهلها، وعلى رأسهم أمير إشبيلية المعتمد بن عباد، يقول عبد الواحد المراكشي:

" ولما كانت سنة اربعمائة وتسعة وسبعون جاز المعتمد على الله البحر قاصدا مدينة مراكش إلى يوسف بن تاشفين، مستنصرا به على الروم، فلقيه يوسف المذكور أحسن لقاء وأنزله أكرم نزل وسأله عن حاجته، فذكر أنه يريد غزو الروم. وأنه يريد إمداد أمير المسلمين إياه بخير ورجل ليستعين بهم في حربه، فأسرع أمير المسلمين المذكور إجابته إلى ما دعاه إليه، وقال له: أنا أول المنتدب لنصرة هذا الدين، ولا يتولى هذا الأمر أحدا إلا أنا نفسي، [...] فأخذ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في أهبة العبور الى جزيرة الاندلس، وذلك في شهر جمادي الأولى من السنة المذكورة،[...] واجتمع له نحو سبعة الاف فارس في عدد كبير من الرجل، فعبر البحر بعسكر ضخم، وكان عبوره من مدينة سبتة، فنزل المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء، وتلقاه المعتمد في وجوه أهل دولته، وأظهر من بره وإكرامه فوق ما كان يظنه أمير المسلمين،

[40] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، م.س، ص. 2129.

وقدم إليه من الهدايا والتحف والذخائر الملوكية ما لم يظنه يوسف عند ملك، فكان هذا أول ما أوقع في نفس يوسف التشوف إلى مملكة جزيرة الاندلس"[41].

ويذكر أحمد المقري ظروف جواز يوسف هذا؛" وإنه لما ملك يوسف ابن تاشفين اللمتوني المغرب، وبنى مدينتي مراكش وتلمسان الجديدة، وأطاعته البربر مع شكيمتها الشديدة، وتمهدت له الأقطار الطويلة المديدة، تاقت نفسه الى العبور لجزيرة الأندلس، فهم بذلك، وأخذ في إنشاء المراكب والسفن ليعبر فيها"[42]. ويتحدث ابن خلدون من جهته حول أوضاع بلاد الأندلس؛ وكيف دفع الأمر بأهلها إلى طلب النجدة من سلطان المرابطين يوسف بن تاشفين، قائلا: "تم ان الطاغية تكالب على بلاد المسلمين وراء البحر، وانتهز الفرصة فيما بما كان من الفرقة بين ملوك الطوائف فحاصر طليطلة، وبها القادر بن يحيى بن ذي النون حتى نالهم الجهد، وتسلمها منه صلحا سنة ثمان وسبعون وأربعمائة على أن يملكه بلنسية[...]، وسار الطاغية في بلاد الأندلس حتى وقف بفرضه المجاز من صريف، وأعيا أمره أهل الأندلس واقتضى منهم الجزية فأعطوها. ثم نازل سرقسطة وضيق على ابن هود بها، وطال مقامه وامتد أمله إلى تملكها، فخاطب المعتمد بن عباد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين منتجزا وعده في صريخ الإسلام بالعدوة وجهاد الطاغية "[43]. فبدأ يوسف بعبور البحر نحو الأندلس للجهاد ونصرة الإسلام، ملبيا نجدة المسلمين هناك، وفي أتناء جوازه هذا اعترضت عاصفة هوجاء سفن المرابطين؛ يقول ابن أبي زرع الفاسي عن هذا الحدث:" فلما ركب السفينة واستقر على ظهرها رفع يديه ودعا الله تعالى وقال في دعائه:(اللهم إن كنت تعلم أن في جوازي هذا خيرا وصلاحا للمسلمين فسهل علي جواز هذا البحر، وإن كان غير ذلك فصعبه علي حتى لا أجوزه) فسهل الله عليه الجواز في أسرع ما يكون، فكان جوازه في يوم الخميس عند الزوال في منتصف ربيع الأول سنة تسع وسبعين واربعمئة (30 يونيو 1086م)"[44]، ليتمكن من الوصول إلى شبه جزيرة الأندلس بجيوشه وقواته من أجل قتال النصارى في معركة مصيرية التي أصبحت أهم وأقوى معارك يوسف بن تاشفين وغزواته.

---

[41] عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، م.س، ص. 190-191.

[42] أحمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، ط.1388هـ-1968م، دار صادر بيروت، ج.4، ص. 354.

[43] **تاريخ ابن خلدون**، م.س، ص. 248.

[44] ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب**، م.س، ص. 145.

2- موقعة الزلاقة

بعد الجواز إلى الأندلس والوصول إلى أرضها، حشد يوسف قواته مع قوات أهل الأندلس من ملوك الطوائف، ليسيروا إلى لقاء الجيوش النصرانية بقيادة ألفونسو السادس، في معركة سميت بالزلاقة سنة 479 هـ، والتي تعد من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي، ويروي إبن الأثير عن وقعة الزلاقة هذه:

" وسار أمير المسلمين، والمعتمد بن عباد، حتى أتوا أرضا يقال لها الزلاقة، من بلد بطليوس، وأتى الأذفونش فنزل موضعا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلا، فقيل لأمير المسلمين:ينصح إن ابن عباد ربما لم دونك. ولا يبذل نفسه، فأرسل إليه أمير المسلمين يأمره أن يكون في المقدمة، ففعل ذلك، وسار، وقد ضرب الأذفونش خيامه في لحف جبل، والمعتمد في سفح جبل آخر، يتراءون، وينزل أمير المسلمين وراء الجبل الذي عنده المعتمد، وظن الأذفونش أن عساكر المسلمين ليس إلا الذي يراه. وكان الفرنج في خمسين ألفا، فتيقنوا الغلب، وأرسل الأذفونش إلى المعتمد في ميقات القتال، وقصده الملك، فقال: غدا الجمعة، وبعده الأحد، فيكون اللقاء يوم الاثنين، فقد وصلنا على حال تعب، واستقر الأمر على هذا، وركب ليلة الجمعة سحرا، وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة، غدرا، وظنا منه أن ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين، فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون، فأشرفوا على الهزيمة. وكان المعتمد قد أرسل إلى أمير المسلمين يعلمه بمجيء الفرنج للحرب، فقال: احملوني إلى خيام الفرنج، فسار إليها، فبينما هم في القتال وصل أمير المسلمين إلى خيام الفرنج، فنهبها، وقتل من فيها، فلما رأى الفرنج ذلك لم يتمالكوا أن انهزموا، وأخذهم السيف، وتبعهم المعتمد من خلفهم، ولقيهم أمير المسلمين من بين أيديهم، ووضع فيهم السيف، فلم يفلت منهم أحد، ونجا الأذفونش في نفر يسير، وجعل المسلمون من رؤوس القتلى كوما كثيرة، فكانوا يؤذنون عليها إلى أن جيفت فأحرقوها .وكانت الوقعة يوم الجمعة في العشر الأول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين، وأصاب المعتمد جراحات في وجهه، وظهرت ذلك اليوم شجاعته. ولم يرجع من الفرنج إلى بلادهم غير ثلاثمائة فارس، وغنم المسلمون كل ما لهم من ذلك "[45].

ويقول ابن خلدون في إيجاز له عن هذه المعركة الكبيرة: " ولقيه المعتمد بن عباد وابن الأفطس صاحب بطليوس. وجمع ابن أدفونس ملك الجلالقة أمم نصرانية لقتاله، ولقي المرابطين بالزلاقة من نواحي بطليوس فكان للمسلمين عليه اليوم المشهور"[46]، وتحدث ابن أبي زرع عن الاستعدادات بين جيوش المرابطين وجيوش الصليبيين:" ونزل الأمير يوسف بموضع يعرف بالزلاقة من أحواز بطليوس، وتقدم المعتمد وأمراء الأندلس فنزلوا بجهة أخرى بينهما ربوة حاجزة ترهيبا للعدو وتخويفا له، وبين الفريقين وعسكر الروم نهر بطليوس [...] فأقاموا ثلاثة أيام والرسل تختلف بينهم إلى ان اتفق رأيهم أن تكون الملاقاة بينهم

[45] ابن الاثير، م.س، ص. 2133.
[46] **العبر** م.س، ص. 248.

يوم الإثنين الرابع عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة[...]، فاقتتلوا قتالا عظيما، وصبر المرابطون صبرا جميلا" [47]، وبالإضافة إلى هذا، نلمح إلى ما قاله ابن الخطيب عن الموقعة وكيف بدأت وكيف انتهت ،" وعبر البحر، وقد إستجاش أهل الأندلس. وكان اللقاء يوم الجمعة منتصف رجب من عام تسع وسبعين وأربعمائة. ووقعت حرب مرة، إختلط فيها الفريقان، بحيث اقتحم الطاغية محلة المسلمين [...]، واقتحم المرابطون محلته للحين ثم برز الجميع إلى مأزق، تعارفت فيه الوجوه، فأبلوا بلاءا عظيما وأجلت عن هزيمة العدو واستيصال شأفته. وأفلت أدفونش في فل قليل، قد أصابته جراحة، وأعز الله المسلمين ونصرهم نصرا لا كفاءة له"[48].

ويتابع الحنبلي في سياق الموضوع: "فالتقى الجمعان فوقعت الهزيمة على الملاعين، وكانت ملحمة عظيمة في أول جمعة من رمضان وجرح المعتمد عدة جراحات سليمة وطابت الأندلس للملثمين، فعمل أميرهم يوسف بن تاشفين على ملكها"[49].

وفي (المعجب)؛ يذكر المراكشي هذه الواقعة ونتائجها: " فأغنى ذلك اليوم غناء لم يشهد لأحد قبله؛ وأخذ المرابطون سلاحهم فاستووا على متون الخيل؛ واختلط الفريقان؛ فأظهر يوسف بن تاشفين وأصحابه من الصبر وحسن البلاء والثبات م لم يكن يحسبه المعتمد؛ وهزم الله العدو، واتبعهم المسلمون يقتلونهم في كل وجه، ونجا الأدفنش–لعنه الله – في تسعة من أصحابه [...]،وتسمى هذه الوقعة عندهم وقعة الزلاقة؛ وكان لقاء المسلمين عدوهم كما ذكرنا في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رمضان الكائن في سنة 480 ورجع يوسف بن تاشفين وأصحابه عن ذلك المشهد منصورين مفتوحا لهم وبهم، وكثر الدعاء له في المساجد وعلى المنابر، وانتشر له من الثناء بجزيرة الأندلس ما زاده طمعا فيها" [50]. وأبرز الفاسي حديثه هو الأخر عن المعركة في نهايتها: "وبات المسلمون تلك الليلة يقتلون ويأسرون ويغنمون ويشكرون الله تعالى على ما منحهم حتى أصبح، فصلوا صلاة الصبح وسط المقتلة، وكانت هذه الهزيمة العظيمة على أعداء الكفرة من أكبر الوقائع"[51].

---

[47] **الانيس المطرب**، م.س، ص. 146-147.
[48] ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، م.س، ص. 351-352.
[49] ابن عماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، م.س، ص. 344.
[50] **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، م.س، ص. 195.
[51] الفاسي، **الأنيس المطرب**، م.س، ص. 149.

3- جوازالأندلس الثاني

بعد الانتصار العظيم للمسلمين، بقيادة يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة ضد الصليبيين النصارى بالأندلس، عاد يوسف إلى المغرب؛ لكن في سنة 481هـ عبر مجددا إلى بلاد الأندلس في جوازه الثاني، وذلك إثر تفاقم مشاكل تلك البلاد من جديد. يقول علي بن أبي زرع عن عودة يوسف إلى المغرب، بعد انتهاء الجواز الأول، وعبوره إلى الأندلس في جوازه الثاني، **"**واتصل بأمير المسلمين يوسف في ذلك اليوم وفاة ولده ابي بكر[...]وفي سنة إحدى وتمانين وأربعمائة. جاز أمير المسلمين إلى الأندلس الجواز الثاني برسم الجهاد، وسبب جهاده أن ألفونسو السادس لعنه الله لما هزم وجرح وقتلت جيوشه عمد إلى حصن لبيط [...] فساء ابن عباد ذلك وضاق ذرعا، ولما رأى تماديهم على ذلك عبر البحر إلى العدوة إلى لقاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فلقيه بالمعمورة من ملقى وادي سبو، فشكا إليه حصن لبيط، وشدة ضرره على المسلمين واستغات به في ذلك، فوعده بالجواز والوصول إليه [...] فلما نزل يوسف الجزيرة الخضراء كتب منها إلى أمراء الأندلس يدعوهم إلى الجهاد [...] فلم يأته ممن كتب من أمراء الأندلس غير ابن عبد العزيز صاحب مرسية والمعتمد بن عباد**"** [52].

أما كاتب (الحلل الموشية) فيقول على هذا الجواز: **"**والموعد حصن لبيط، فاجتاز على مالقة، واستنفر صاحبها المستنصر بالله تميم بن بلقين بن باديس، وتلاحق به أخوه المظفر عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة، والمعتصم بن صمادح من المرية، وتوافى رؤساء الاندلس من شقورة وبسطة وجيان[...] واتصلت الحروب، وكثر الوارد، وتمادى القتل على الحصن ليلا ونهارا مدة شهر**"**[53]. وقد إختصر ابن الخطيب كلامه حول هذا الجواز متحدثا: "تم أجاز البحر ثانية الى منازلة حصن لبيط، وفسد ما بينه وبين أمراء الأندلس، وعاد إلى العدوة**"**[54].

وقد تيقن يوسف بن تاشفين في هذا الجواز، بضرورة خلع ملوك الطوائف المستمرين في نزاعتهم وتخاذلهم عن الجهاد ضد الأعداء، بل وصل الأمر بهم إلى الاستعانة بالنصارى ضد بعضهم البعض، مما دفع بيوسف إلى القضاء عليهم وحسم أمرهم والاقدام على ضم بلاد الأندلس إلى دولة المرابطين.

---

[52] نفس المصدر، ص. 152.

[53] **الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية**، م.س، ص. 68-69.

[54] ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، م.س، ص. 352-353.

المبحث السادس: ضم الأندلس وتوحيد الغرب الإسلامي

1-الجواز الثالث نحو الأندلس وحكم البلاد

في سنة 483هـ، جاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس جوازه الثالث، وهو عازم على خلع ملوك الطوائف، وقد جاء هذا الجواز بعد استصراخ أهل الاندلس له، واستفتاه العلماء بوجوب القضاء على دول الطوائف وضم البلاد إلى حكمه. ذكر ابن الخطيب عن هذا الجواز الذي كان بداية دخول البلاد الأندلسية تحت حكم المرابطين، **"**ثم أجاز البحر عام ثلاثة وتمانين وأربعمائة، عاملا على خلعهم، فتملك مدينة غرناطة في منتصف رجب من العام المذكور، ودخل القصر بالقصبة العليا منها، واستحسنه، وأمر بحفظه، ومواصلة مرمته. وطاف بكل مكان منه وتملك ألمرية وقرطبة وإشبيلية وغيرها **"**[55].

يقول صاحب (الحلل الموشية) عن الأسباب المباشرة، والتي أدت بالأمير يوسف إلى العبور للمرة الثالثة، نحو بلاد الأندلس، وعزل أمراء الطوائف عنها ، **"**كان جوازه الثالث في سنة ثلاث وتمانين وأربعمائة- سببه: أنه لما كان على حصن لبيط نقل إليه عن كلام ملوك الاندلس، أحفظه وأوغر صدره عليهم، وهو الذي أزعجه إلى العدوة[...] وتوالت عليه الاخبار من الأمير عبد الله بن بلقين بما يغيظه ويحقده، فاستنزل من مالقة أخاه المستنصر تميم بن بلقين، وتوجه إلى غرناطة، فلقيه المظفر عبد الله بن بلقين خارج الحضرة، فسلم عليه، وترجل إليه، ودخل معه البلد، وسلم إليه الأمر، وأقام ينظر في توطيد البلد، وتمهيد الأمور، ثم احتمله هو وأخاه المستنصر تميما إلى العدوة، وأسكنهما أغمات**"** [56]، وقد فسر ابن خلدون الأمر متحدثا عن تفاصيل الجواز: **"**وأفتاه الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والأندلس بخلعهم وانتزاع الامر من أيديهم، وصارت إليه فتاوى من أهل الشرق الاعلام مثل: الغزالي والطرطوشي، فعهد إلى غرناطة واستنزل صاحبها عبيد الله بن بلكين بن باديس وأخاه تميم بعد ان كان منهما مداخلة الطاغية في عداوة يوسف بن تاشفين، وبعث بهما إلى المغرب[...] واستنزل أولاد المأمون من قرطبة ويزيد الرايض من درنة وقرمونة واستولى على جميعها وقتلهم. وصمد إلى أشبيلية فحاصر المعتمد بها وضيق عليه، واستنجد بالطاغية فعمد الى استنقاده من هذا الحصار، فلم يغن عنه شيئا، وكان دفاع لمتونة مما فت في عضده، واقتحم المرابطون أشبيلية عليه عنوة سنة أربع وتمانين وأربعمائة وتقبض على المعتمد وقاده أسيرا الى

---

[55] نفسه، ص. 353.

[56] **الحلل الموشية**، م.س، ص. 71.

مراكش"[57]. ولمح ابن الأثير شيئا عن جواز 483هـ قائلا: "في هذه السنة، في رجب، ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، صاحب بلاد المغرب، من بلاد الأندلس ما هو بيد المسلمين:الأندلس قرطبة " [58].

وبالتالي أخضع يوسف بلاد الأندلس، بعد نفي ملوكها وتوحيد دويلات الطوائف، وهنا نشير قول ابن ابي زرع الفاسي الذي لخص فيه السنوات التي قضتها الجيوش المرابطية في إحكام سيطرتها على الأندلس الإسلامية، "فملك يوسف مملكة خمسة أمراء من أمراء الاندلس في سنة ونصف، وهم: ابن عباد، وابن حبوس، وابن الأخوص، وابن عبد العزيز، وعبد الله بن بكر صاحب جيان وأبلة وأستجة[...] وفي سنة ست وتمانين وأربعمائة فتح المرابطون مدينة أفراغ من بلاد شرق الأندلس، ولم يزل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يبعث جيوشه وقواده إليها برسم الجهاد للروم وخلع أمرائها المتغلبين عليها حتى ملك جميع بلاد الأندلس واستوتق له أمرها" [59].

ويذكر المقري التلمساني الموضوع، ويصفه بحدث بارز في التاريخ، "ولما انقرض بالاندلس ملك ملوك الطوائف بني عباد وبني ذي النون وبني الافطس وبني صمادح وغيرهم انتظمت في سلك اللمتونيين، وكانت لهم فيها وقعات بالاعداء مشهورة في كتب التواريخ"[60]. فصارت الأندلس تحت سلطة يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، الذي استطاع توحيد بلاد المغرب مع الأندلس، ضامنا بذلك حكم منطقة الغرب الإسلامي.

2- توحيد الغرب الإسلامي

إستطاع الأمير يوسف بن تاشفين توحيد بلاد الغرب الاسلامي على حكم مركزي واحد، وذلك بعد ضمه الأندلس إلى المغرب، فخضعت البلاد الأندلسية لدولة المرابطين وعاصمتها مراكش. يذكر عبد الواحد المراكشي كيف انتهى يوسف إلى حكم الأندلس وكيف صارت في ضل سلطانه، "وحين ملك يوسف أمير المسلمين جزيرة الأندلس وأطاعته بأسرها ولم يختلف عليه شيء منها، عد من يومئد في جملة الملوك، واستحق اسم السلطنة، وتسمى هو وأصحابه بالمرابطين؛ وصار هو وابنه معدودين في أكابر الملوك؛ لأن جزيرة الأندلس هي حاضرة المغرب الأقصى، وأم قراه، ومعدن الفضائل منه؛ فعامة الفضلاء من أهل كل شأن منسوبين إليها، ومعدودين منها ؛فهي مطلع شموس العلوم وأقمارها، ومركز الفضائل وقطب مدارها؛ أعدل الاقاليم هواء، وأصفاها جوا، وأعذبها ماء، وأعطرها نبتا، وانداها ظلالا، وأطيبها بكرا مستعذبة وآصالا " [61].

---

[57] **تاريخ ابن خلدون**، م.س، ص. 249.
[58] **الكامل في التاريخ**، م.س، ص. 2146.
[59] ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب**، م.س، ص. 155-156.
[60] المقري، **نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب**، م.س، ص. 388.
[61] **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، م.س، ص. 227.

وقد سمى الذهبي، يوسف بن تاشفين في كتابه (سير أعلام النبلاء) "بصاحب الغرب"، ولمح بشيء من قوته وقال: **"**فاستوى على البلاد من تلمسان إلى طرف الدنيا الغربي **"**[62]، وكان نفس الشيء لابن الأثير الذي قال: **"** وملك البلاد المتصلة بالمجاز مثل سبتة، وطنجة، وسلا، وغيرها، وكثرت عساكره **"**[63]، كما ذكر الناصري هذا الأمر في كتابه (الاستقصا) الذي يقول فيه: "وانتظمت بلاد الأندلس في ملكية يوسف بن تاشفين وانقرض ملك الطوائف منها أجمع كأن لم يكن واستولى أمير المسلمين على العدويتين معا واتصلت الهزائم بالمرابطين على الفرنج مرارا والله غالب على أمره**"** [64].

بين الفاسي حدود ملك يوسف بن تاشفين في مناطق الغرب الاسلامي بعد توحيد كل من العدوة الأندلسية مع العدوة المغربية، **"**فإنه خطب له بالاندلس والمغرب على الف منبر وتسعمئة منبر وكان ملكه من مدينة أفراغة اول بلاد الافرنج قاصية شرق بلاد الاندلس إلى أخر عمل شنترين والاشبونة على البحر المحيط من بلاد غرب الاندلس، وذلك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما طولا، وفي العرض ما يقرب ذلك، وملك بالمغرب من بلاد العدوة من جزائر بني مزغنة إلى طنجة إلى أخر السوس الاقصى إلى جبل الذهب من بلاد السودان**"** [65]. وأضاف شمس الدين الذهبي في وصف عظمة وقوة يوسف قائلا: **"**وقد ملك مدائن كبار بالأندلس، وبالعدوة، ولو سار لتملك مصر والشام**"**[66].

فصار يوسف بن تاشفين أول أمير يتمكن من تحقيق وحدة كل من المغرب والاندلس في دولة واحدة كبرى، صارت من أقوى دول ذاك العصر، ومع ذلك رفض يوسف تقليد أمر الخلافة والتسمية بلقب أمير المؤمنين وعوض ذلك بتسمية نفسه بأمير المسلمين.

---

[62] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، م.س، ص. 252.
[63] **الكامل في التاريخ**، م.س، ص. 2059.
[64] **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، م.س، ص. 114.
[65] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، م.س، ص. 136-137.
[66] **سير أعلام النبلاء**، م.س، ص. 254.

المبحث السابع: أمير المسلمين وناصر الدين

اعترف يوسف بن تاشفين بالخلافة العباسية في بغداد، كسلطة شرعية قائدة للعالم الإسلامي وللأمة الإسلامية، ورغم الضعف الذي كان يتملك خلافة بنو العباس، والقوة التي كان يحظى بها هو في حكم بلاد الغرب الاسلامي؛ إلا أنه لم يسمي نفسه بخليفة المسلمين وأمير المؤمنين، بل أطلق على نفسه لقب أمير المسلمين، فصار يسمى بأمير المسلمين وناصر الدين.

يقول صاحب (الحلل الموشية)، عن السياق الذي تسمى فيه يوسف بأمير المسلمين: **"**ويوسف بن تاشفين كان يدعي بالامير، فلما ضخمت مملكته، واتسعت عمالته، اجتمع إليه أشياخ لمتونة، وأعيان دولته، وقالوا له: أنت خليفة الله في هذا المغرب، وحقك أكبر أن تدعى بالامير، بل ندعوك أمير المؤمنين، فقال لهم:حاش الله أن نتسمى بهذا بهذا، إنما يتسمى به خلفاء بنو العباس لكونهم من تلك السلالة الكريمة، لانهم ملوك الحرمين: مكة، والمدينة، وأنا رجلهم، والقائم بدعوتهم، فقالوا له: لابد من اسم تمتاز به، وبعدها اجاب إلى ((أمير المسلمين وناصر الدين))**"** [67].

يروي جلال الدين السيوطي في كتابه (تاريخ الخلفاء)؛ عن الظرفية الزمنية والتاريخية في اتخاد يوسف للقب أمير المسلمين واتصاله مع الخلافة العباسية، حيث يقول: "وفي سنة تسع وسبعين: أرسل يوسف بن تاشفين صاحب سبتة ومراكش إلى المقتدي يطلب أن يسلطنه، وأن يقلده ما بيده من البلاد، فبعث إليه الخلع والاعلام والتقليد، ولقبه بأمير المسلمين، ففرح بذلك، وسر به فقهاء المغرب**"**[68].

يذكر ابن خلدون سفارة ابن تاشفين، إلى بغداد عاصمة الخلافة، وقال: **"**وتسمى بأمير المسلمين، وخاطب المستنصر العباسي الخليفة لعهده ببغداد، وبعث إليه عبد الله بن محمد بن العرب على يد المعافري الأشبيلي وولده القاضي أبا بكر، فتلطفا في القول وأحسنا في الإبلاغ، وطلبا من الخليفة أن يعقد له على المغرب والاندلس، فعقد له وتضمن ذلك مكتوب الخليفة بذلك منقول في أيدي الناس وانقلبا إليه بتقليد الخليفة وعهده على ما إلى نظر من الأقطار والاقاليم**"**[69]،

وقد أبرز ابن عماد الحنبلي؛ بأن يوسف بن تاشفين هو أول من تسمى بأمير المسلمين، وأخذ به عزة سلطانه حتى وفاته.[70] ويذهب المؤرخين عادة، إلى كون الأمير يوسف قد اتخذ لقب أمير المسلمين بعد معركة الزلاقة، كما عند علي بن أبي زرع الذي يقول: **"**وكان يدعى بالامير وعندما فتح الاندلس وصنع غزاة

---

[67] **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، م.س، ص. 27.

[68] جلال الدين السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ط.1، دار ابن الحزم، بيروت، 1424هـ-2003م، ص. 334.

[69] **تاريخ ابن خلدون**، م.س، ص. 250.

[70] ابن عماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ن.م، ص. 227.

الزلاقة وأذل الله تعالى بها ملوك الروم بايعه في ذلك اليوم ملوك الاندلس وامرائها الذين شهدوا معه تلك الغزاة، وكانوا ثلاثة عشر ملكا، وسلموا عليه بأمير المسلمين" [71]، والدليل على ذلك، أن ابن تاشفين قام بوضع اسم الخليفة العباسي، في ضرب السكة إلى جانب اسمه ولقبه أمير المسلمين، حيث يذكر ابن الخطيب هذا الأمر، " كان درهمه فضة، ودیناره تبراً محضاً، في إحدى صفحتيه «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وتحت ذلك «أمير المسلمين يوسف بن تاشفين»، وفي الدائر [ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين]، وفي الصفحة الأخرى «الإمام عبد اللـه أمير المؤمنين» وفي الدائرة «تاريخ ضربه وموضع سكه»"[72].

وقد أكد ابن الأثير في سياق أخر عن تسمية يوسف بهذا اللقب؛ إثر علاقته مع الخلافة العباسية، "جمع الفقهاء وأحسن إليهم، فقالوا له: ينبغي أن تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على الكافة، فأرسل إلى الخليفة المستظهر بالله، أمير المؤمنين، رسولا ومعه هدية كثيرة، وكتب معه كتابا يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج، وما اعتمده من نصرة الإسلام، ويطلب تقليدا بولاية البلاد، فكتب له تقليد من ديوان الخلافة بما أراد، ولقب أمير المسلمين، سيرت إليه الخلع، فسر بذلك سرورا كثيرا"[73].

وفي أتناء حكمه لبلاد المغرب والاندلس، كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، قد استوفى شروط العدل والاصلاح والتمسك بالإسلام ونصرته، ولقد أجمع المؤرخون على كون فترة حكمه، ازدهارا ورخاء واستقرار لدولة الاسلام في منطقة المغرب، ويتحدث الناصري على لسان ابن خلكان؛ واصفا ملك يوسف العادل والذي أثار انتباه الإمام الغزالي، "كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حازما سائسا للامور ضابطا لمصالح مملكته مؤترا لأهل العلم والدين كثير المشورة لهم، قال: بلغني ان الامام حجة الاسلام أبا حامد الغزالي رحمه الله لمل سمع ما هو عليه من الاوصاف الحميدة وميله إلى أهل العلم عزم إلى التوجه إليه فوصل الاسكندرية وشرع في تجهيز ما يحتاج إليه فجاء إليه الخبر بوفاته فرجع عن ذلك العزم" [74]، ويضيف مؤلف (الحلل الموشية) فضل أمير المسلمين يوسف على دولة الأندلس ويقول "أقامت بلاد الاندلس في مدته سعيدة حميدة، في رفاهية عيش، وعلى أحسن حال، لم تزل موفورة محفوظة إلى حين وفاته رحمه الله، وكان الجهاد انقطع بها مدة تسع وسبعين سنة، من مدة آل عامر إلى حين دخوله إليها، قدم أشياخ المرابطين فيها، وكانوا أقواما قد ربتهم الصحراء، نيتهم صالحة لم تفسدها الحضارة، ولا مخالطة الاسافيل" [75].

---

[71] **الأنيس المطرب**، م.س، ص. 137.
[72] ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، م.س، ص. 350.
[73] **الكامل في التاريخ**، م.س، ص. 2231.
[74] الناصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، م.س، ص. 215.
[75] **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، م.س، ص. 82-83.

وفي سنواته الاخيرة، جاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس لتفقد البلاد والرعية والثغور الجهادية، ويحكي ابن خلدون عن هذا الجواز؛ الذي يعد الرابع والأخير في سيرة يوسف: **"**ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الرابع سنة سبع وتسعين وأربعمائة وقد كان ما قدمناه في أخبار بني حماد من زحف المنصور بن الناصر إلى تلمسان سنة سبع وتسعين وأربعمائة للفتنة التي وقعت بينه وبين تاشفين بن تيغمر وافتتاحه أكثر بلادهم فصالحه يوسف بن تاشفين واسترضاه بعدول تاشفين عن تلمسان سنة سبعة وتسعين وأربعمائة وبعث إليها مزدلي من بلنسية، وولي بلنسية عوضا منه أبا محمد بن فاطمة، كثرت غزواته في بلاد النصرانية. وهلك يوسف على رأس المائة الخامسة**"**[76]. يقول ابن ابي زرع الفاسي؛ متحدثا عن السنوات الأخيرة في حكم يوسف: **"**وفي سنة ست وتسعين وأربعمائة أدى أمير المسلمين البيعة لولده علي بقرطبة فبايعه جميع أمراء لمتونة وأشياخ البلاد وفقهاؤها وذلك في شهر ذي الحجة منها [...] وفي سنة ثمان وتسعين مرض أمير المسلمين يوسف وابتدأته العلة التي مات منها وهو بمدينة مراكش، فلم يزل مرضه يشتد وحاله يضعف إلى ان توفي رحمه الله في مستهل شهر محرم سنة خمسمئة (الاحد 2 شتنبر 1106م)وقد بلغ عمره مئة سنة**"** [77].

وقد تحدث ابن الخطيب عن وفاته، وقال: **"**توفي رحمه الله بمدينة مراكش يوم الاثنين مستهل محرم سنة خمسمائة **"**[78]، ويتابع المؤلف المجهول صاحب الحلل الموشية، واصفا نهاية حياة يوسف، وولايته العهد لابنه علي: **"**فلما قربت وفاته أوصى ابنه وولي العهد بعده أبا الحسن عليا بثلاث وصايا: الوصية الاولى: ألا يهيج أهل جبل درن، ومن ورائه من المصامدة وأهل القبلة، الثانية: ان يهادن بني هود بالأندلس، وأن يتركهم حائلين بينه وبين الروم، الثالثة: أن يقبل من محسن أهل قرطبة. ويتجاوز عن مسيئهم. وقد مات في مستهل شهر محرم سنة خمسمائة، ودفن بقصره بحضرة مراكش، وحضر مراكش، وحضر موته ابناه: الامير أبو تميم، وأبو الحسن علي، مع من حضر من عترته الصنهاجية، وأسرته اللمتونية، قبض وهو على أوله في العدل والجد في نصر الدين، واظهار الكلمة وعضد الاسلام، رحمة عليه**"**[79]. إضافة إلى ابن الأثير وما ذكر عن وفاته في عام 500 للهجرة: **"** في هذه السنة توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، ملك المغرب والأندلس، وكان حسن السيرة، خيرا، عادلا، يميل إلى أهل الدين والعلم، ويكرمهم، ويصدر عن رأيهم**"**[80].

ومات يوسف بن تاشفين، رحمه الله تعالى سنة 500هـ، بعد أن بلغ من العمر مئة سنة، وقد عاش حياة مليئة بالجهاد والزهد والورع والتقوى، ووحدة الكلمة والصف ونصرة الاسلام، مند ترقيه إلى قائد الجيش

---

[76] **تاريخ ابن خلدون**، م.س، ص. 250.
[77] الفاسي، **الأنيس المطرب**، م.س، ص. 156.
[78] **الإحاطة في أخبار غرناطة**، م.س، ص. 353.
[79] **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، م.س، ص. 82-83.
[80] **الكامل في التاريخ**، م.س، ص. 2231.

اللمتوني، ثم إلى تولي حكم دولة المرابطين وازدهارها على يده، وبناء مراكش تم تحرير المغرب الاقصى، إلى انقاد الاندلس وضمها إلى حكمه والدفاع عنها وإقامة الدين في دولته، وعرف بعد ذلك في الكتب التاريخية الأصلية والتقليدية أو المعاصرة له، بأمير المسلمين وناصر الدين.

الفـــصل الثاني

الـدراسـات الـحديـثـة حـول يـوسف بـن تـاشفـيـن

تمهيد:

تطرقت المراجع التاريخية والدراسات الحديثة للتاريخ الإسلامي؛ إلى ذكر شخصية يوسف بن تاشفين وسيرته، سواء كانت هذه المراجع والدراسات مختصة في تاريخ المغرب، أو تاريخ الإسلام بشكل عام، أو تاريخ الأندلس، أو تاريخ دولة المرابطين، كما أن هذه الكتابات المرجعية تعددت بين مؤلفين وكتاب من أوساط العالم الاسلامي بالإضافة إلى المستشرقين والغربيين. ومن بين هذه الكتابات أيضا، هناك كتابات متخصصة في سيرة وشخصية يوسف بن تاشفين بحد ذاته كنموذج لدراسة الأبطال التاريخيين.

كما هو الحال بالنسبة للمصادر الأصلية والتقليدية، فلم تستثني هذه الدراسات المراحل المهمة في سيرة حياة يوسف بن تاشفين، فهذا طبيعي بحكم أنها استمدت واعتمدت على تلك المصادر؛ في دراسة جوانب حياة شخصية يوسف بن تاشفين، منذ توليه قيادة الجيش إلى إمارة الدولة المرابطية، وبداية عملية التوسع وبناء مدينة مراكش، وفتح فاس والسيطرة على بلاد المغرب، ثم الجواز نحو الأندلس والانتصار في معركة الزلاقة وردع الخطر الصليبي عنها، وضم الأندلس إلى حكمه واتخاد لقب أمير المسلمين، بعد أن تمكن من توحيد الغرب الاسلامي. وبذلك تكون هذه الدراسات قد وصلت إلى اعتبار يوسف بن تاشفين واحدا من العظماء الذين أحدثوا تغييرا عميقا وتركوا أثرا كبيرا.

المبحث الأول: نشأته وبداياته

1-النشأة

نشأ يوسف بن تاشفين في صحراء بلاد المغرب، وينتمي إلى قبيلة لمتونة أحد فروع صنهاجة الكبرى، ولقبه أبو يعقوب اللمتوني، ولد في سنة 400هـ، لا يعرف عن مكان ولادته ولا عن طفولته وشبابه، فجل ما ورد في الكتابات التاريخية يتحدث عن بروز هذه الشخصية في العقد الرابع من القرن الخامس الهجري. فنسبه كالتالي: يوسف بن تاشفين، بن ابراهيم، بن ترجوت، بن وراتسن، بن منصور، بن مصالة، بن أميت، بن وانمال، من لمتونة[81]؛ وكان من صفاته حسب ما وصفه المؤرخون أنه معتدل القامة، أسمر اللون، خفيف العارضين، أجعد الشعر، وكان كثير التواضع والقناعة والحياء، وهو ممن تقبل دعوة ابن ياسين عن طواعية وإخلاص، وكانت معارفه بسيطة ولكنه كان شديد الذكاء قوي العزيمة[82].

[81] حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته**، ط.1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1412هـ -1992م، ج.2، ص ص. 16،18.

[82] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1420هـ-2000م، ج.1، ص. 161.

كانت القبيلة التي ينتسب إليها يوسف بن تاشفين، تسكن المناطق الممتدة من وادي نون إلى رأس موغادور إلى مدينة أزكي شرقا، وكانت المناطق الشمالية مقرا لبني وارتنطق حول المدينة المذكورة، وقد يكون يوسف ولد في تلك المنطقة حيت عرفت قبيلته بالسيادة والسيطرة على صنهاجة[83]. وقد تلقى يوسف تعاليمه الاولى في قلب الصحراء من أفواه المحدثين والفقهاء، وترعرع في كنف العلماء وإرشادات عبد الله بن ياسين، فنبغ في فنون الحرب والسياسة الشرعية[84].

وهكذا صار يوسف بن تاشفين أحد الرجال المميزين الذين أنجبتهم الصحراء، ومن الذين تعلموا في رباط عبد الله بن ياسين مؤسس الدعوة المرابطية، القائمة على الإصلاح ونشر الإسلام الصحيح على منهاج الكتاب والسنة.

2-البداية والانطلاقة

مر يوسف بن تاشفين بمراحل عسكرية ابتدأت بكونه مجرد قائد من المرابطين، ينفد الأوامر بكل نجاح كباقي القواد، وقد أهلته هذه المرحلة الغنية بالتجارب والخبرات إلى توليه فيما بعد الإمارة، حيت قاد المرابطين إلى ميادين الجهاد والعزة والكرامة والشرف، فقد ظهر نجم يوسف في معركة الواحات سنة 448هـ، بحيث أنه تولى قيادة الجيش المرابطي لفتح سجلماسة، و تم تعيينه واليا عليها بعد اظهاره مهارة في الإدارة والقيادة [85]؛ وبعد وفاة الأمير يحيى بن عمر اللمتوني، ولي عبد الله بن ياسين مكانه أخاه أبو بكر بن عمر وقلده أمر الحرب والجهاد، فسار المرابطون لغزو بلاد السوس والمصامدة، فزحف إليها بجيش عظيم جعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين، فدخل سوس وغزا قبيلة جزولة وفتح مدينة ماسة وتارودانت عنوة، وكانت هذه الأخيرة قاعدة البلاد السوسية حيث كان بها قوم من الشيعة البجلية، فانتصروا عليهم فعاد من بقي منهم إلى أهل السنة والجماعة .[86]

يعد يوسف بن تاشفين من القادة المقربين للأمير أبو بكر بن عمر بصفته ابن عمه، إضافة الى كون يوسف قائدا محنكا ذو مهارات عالية وشخصية فذة، مما جعله يوليه أعمال المغرب وأموره على شكل نائب، فبعد وقوع صراع بين القبائل الصنهاجية في الصحراء، اضطر الأمير أبو بكر إلى الذهاب نحو مكان النزاع لتدارك الأمر والحد منه، وقبل رحيله جمع قومه وطلب منهم أن يختاروا رئيسا لهم من بين أنفسهم ليقوم بأمرهم في غيابه، فاختاروا ابن عمه يوسف بن تاشفين، وترك أبو بكر ثلث من الجيش المرابطي مع

---

[83] حامد محمد الخليفة، **انتصارات يوسف ين تاشفين بطل معركة الزلاقة وقائد المرابطين موحد المغرب ومنقد الأندلس من الصليبيين**، ط.1، مكتبة الصحابة، الامارات، مكتبة التابعين، القاهرة،1425هـ-2003م، ص. 41.

[84] علي الصلابي، **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، ط.1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1424هـ-2003م، ص. 66.

[85] نفسه، ص. 67.

[86] حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام: السياسي، الديني، الثقافي، الاجتماعي**، ط.15، دار الجيل، بيروت، 1422هـ-2001م، ج.4، ص. 114.

يوسف وأخذ الثلثين، ليمضي إلى حيث قبائل لمتونة وراء الصحراء سنة 453هـ[87]، وقد كان ليوسف رغبة في الإمارة وتولي منصب قيادة الدولة، حيث كانت البداية الاولى في دفع ابن تاشفين إلى رئاسة الدولة الناشئة، هو سقوط عبد الله بن ياسين واستشهاده سنة 451ه، في معارك ضارية ضد بورغواطة بعد سيطرة المرابطون على أغمات [88]؛ ولعل هذا النبوغ والطموح عند يوسف هو ما أدى بالأمير أبي بكر إلى توليته أمور المغرب ، فترك أبو بكر القيادة ليوسف فتوجه إلى الصحراء في سنة 452هـ، وبذلك تكون السلطة قد انتقلت في المناطق المفتوحة بالمغرب الاقصى إلى ابن تاشفين[89] . وأصبح يوسف بن تاشفين أميرا على المرابطين في صورة نائب عن أبي بكر بن عمر المنشغل في الصحراء، وبالتالي يكون يوسف قد رسم طريقه نحو حكم دولة إسلامية ما زالت في قيد النشوء.

المبحث الثاني: توليه مقاليد الحكم والإمارة

بعد أن ولاه أبو بكر بن عمر أمور حكم المغرب إثر رحيله إلى الصحراء بسبب النزاع بين القبائل الصنهاجية، كان يوسف بن تاشفين يدبر أمور المغرب ويسيرها بسلاسة، فقد تم التراضي بين الرجلين على أن يتقاسما الجهاد، واحد يجاهد في الجنوب وهو أبو بكر بن عمر، والأخر في الشمال وهو يوسف بن تاشفين، وتم الإتفاق بينهما في مشهد في فسيح من الارض، جلس فيه يوسف وأبو بكر في الوسط وخلف كل منهما رجال في صفوف، وتنازل أبو بكر عن كل حق له ما بيد يوسف، وتقاسما الرجال ومضى كل منهما في شأنه، وهذه أول مرة نرى فيه هذا التراضي والإتفاق بين أميرين مسلمين متنازعين عن الحكم [90].

كانت عودة أبو بكر بن عمر من الصحراء أمرا مفاجئا ليوسف، فقد استطاع معالجة الخلاف هناك، بعد أن كان قد أوكل أمر الدولة إلى يوسف بن تاشفين. وبعد رؤيته لعظمة يوسف وقوته وإدارته أقدم على عمل قل نظيره بين الحكام، اذ تنازل لابن عمه عن سلطان المرابطين، وقال: "هذا الفتى أفضل مني في الإدارة"[91]؛ وبذلك يكون أبو بكر قد ترك الحكم ليوسف عن طواعية، ثم عاد إلى الصحراء بنصف الجيش فعاش فيها مجاهدا في بلاد السودان، حتى توفي هناك سنة 480هـ، وقلما سجل التاريخ مثل هذه الحادثة الرائعة التي تم التنازل فيها للأكفأ والأفضل والأصلح والأمهر[92].

---

[87] حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته**، م.س، ص. 283.
[88] الصلابي، **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، م.س، ص. 67-68.
[89] حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس: عصر المرابطين والموحدين**، ط.1، مكتبة الخانجي، مصر،1980م، ص.26
[90] مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته**، م.س، ص. 22.
[91] طارق السويدان، **الأندلس التاريخ المصور**، ط.1، شركة الإبداع الفكري، الكويت، 1426هـ-2005م، ص. 283.
[92] شوقي أبو خليل، **الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين**، ط.2، دار الفكر للطباعة والتوزيع، دمشق، 1980م، ص. 26.

فصار يوسف بن تاشفين أمير للمرابطين، وقد جاء اختياره لقيادة جيش الشمال من قبل أبي بكر لصعوبة المهمة وجسامة المسؤولية، وبعد التجربة الطويلة التي قضاها معه حيث التمس في يوسف الخبرة الواسعة والامكانية العسكرية والادارية، فضلا عن ثبات فيه الدعوة المرابطية المتمثلة بهدي الإسلام وأحكام الشرع [93]، وقد ذكرت المصادر التاريخية أنه تزوج زينب بنت إسحاق النفزاوية، بعد أن طلقها ابن عمه أبو بكر بن عمر إثر رحيله إلى الصحراء، وكانت امرأة مشهورة بالجمال والرئاسة، كما تزوج يوسف من سيدة أندلسية تدعى قمر وقيل أنها من أنجبت ولي العهد علي، وكذلك تزوج من امرأة تسمى بعائشة [94].

بعد تولي يوسف بن تاشفين أمور السلطة ومقاليد الحكم، أخذ في تدبير الأمور واجتهد في تنظيم قوته وجعل منها دولة قائمة بذاتها، فضم إلى صفوفه أعداد كبيرة من الصنهاجيين والمقاتلة السودانيين وضم إلى هؤلاء فرقة من محترفي الحرب من النصارى الذين كثروا في غرب اوروبا بتلك العصور، ودخلوا في خدمة من يؤجرهم من الملوك، وكانوا يسمون في الجيش المرابطي بالأعلاج، وقد أسلم الكثير منهم وأصبحوا من خيرة جند المرابطين[95]. لقد اتخذ يوسف الحزم والجد كخطوات في بناء دولته فتمسك بالحكم، وقد يحلوا للمؤرخين أن يفسروا هذا الايثار والتنازل عن الملك بأن أبا بكر خشي سطوة يوسف الذي أظهر عدم استعداده عن تنازله للملك، وسيرة الرجلين من الصلاح والتقوى تنافي ادعاءهم الباطل [96]،فكان قد جمع يوسف بن تاشفين وأبو بكر بن عمر، لقاء طبيعيا أخويا شكل نقطة إيجابية مضيئة في تاريخ المرابطين، فهي روعة من المستوى العالي الذي ارتقى إليه هؤلاء القوم من آدب التعامل وحفظ الحقوق والالتزام بالطاعة والعهود ، فما إن سمع ابن تاشفين بقدوم ابن عمه حتى أسرع لاستقباله في منتصف الطريق بين أغمات ومراكش، في منظر رائع واستعراض عسكري ينم على الانضباط والطاعة والحالة الثابتة في الجند المرابطي، لتزداد ثقة وإعجاب أبو بكر بيوسف فتفاءل بمستقبل دعوة المرابطين ودولتهم، وتم اللقاء بحضور أعيان الدولة والأمراء ليشهدوا عن تنازله وتنحيته عن أمر الحكم ليقوم بتوديعه منصرفا إلى الصحراء [97].

ومن هذا المشهد الذي يجسد هذا الحدث العظيم، صار يوسف بن تاشفين أميرا للمرابطين بصفة رسمية، ويمتاز الأمير يوسف بالخصائص الأساسية التي امتاز بها الكثير من بناة الدولة الاسلامية، ورجالها الذين تولون أمرها في أوقات الأزمات العصيبة التي ألمت بها على طول التاريخ، وأولى هذه الخصائص الإيمان العميق بالإسلام، ثم النظرة الواسعة إلى العالم الإسلامي على أنه عالم واحد متماسك، ثم العدالة وهي من بين أجمل ما تحلى بها عظماء حكام المسلمين، وأخيرا النشاط الواسع والطموح إلى توسيع رواق الإسلام[98].

---

[93] حامد الخليفة، **انتصارات يوسف بن تاشفين**، م.س، ص. 48.
[94] **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، م.س، ص. 67.
[95] **تاريخ المغرب وحضارته**، م.س، ص. 21.
[96] **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، م.س، ص. 68-69.
[97] **انتصارات يوسف بن تاشفين**، م.س، ص. 53-54.
[98] مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته**، م.س، ص. 25-26.

وبتولي يوسف بن تاشفين بعد هذا زمام الحكم ومقاليد السلطة، بدأ بالعمل في تنظيم دولته وتوسيع نفوذها وترسيخ أركانها، وتفعيل مبادئ الدعوة والجهاد، ليصير بعد ذلك أعظم الأمراء المرابطين على الاطلاق.

المبحث الثالث: تأسيس مراكش والدخول إلى فاس

1-بناء العاصمة مراكش

بعد أن أمسك يوسف بن تاشفين مقاليد الحكم والسلطة بيده، سعى إلى تشييد مدينة تعتبر قاعدة لحكمه، وعاصمة لدولة المرابطين التي ما زالت تتمدد على ربوع أطراف المغرب، فبنى مراكش كإسم لهذه المدينة، وقد كانت المدينة قبل تأسيسها أرض خالية تقريبا من السكان، وهي تقع بين جبل جيلز ولكدية العبيد، وبين أغمات وجبال الاطلس الكبير، وكلمة مراكش مركبة من كلمتين احداهما عربية وهي: (مر) والثانية أمازيغية وهي: (كش) وتعني: "امشي مسرعا "أو "انطلق بسرعة"، وذلك لكونها مأوى للصوص وقطاع الطرق الذين يتعرضون للقوافل، فيخاطب الناس بعضهم البعض ب"مراكش" أي امشي مسرعا، وكانت أرضية مراكش لبعض أهل أغمات فاشتراها يوسف بن تاشفين وبنى مرافقها ودروبها بحجر من الجبل [99]. فاختطها يوسف سنة 454هـ واتخذها عاصمة لدولته وهي تقع في أوساط المغرب الاقصى لكي تكون أقرب إلى الصحراء وأقاليم الشمال المتحضرة[100]، وهناك من الباحثين من يذهب إلى أن مؤسس مدينة مراكش هو أبو بكر بن عمر، أمثال (مؤنس) الذي يقول أن الأمير أبي بكر هو صاحب مشروع إنشاء مدينة قرب أغمات، فولدت مراكش وهي بالأمازيغية (مروكش)، ومعناها قصر الحجر سنة 461هـ، وقد أدى به حماسه إلى إضافة مدينة من أجمل مدن الدنيا إلى تاريخ الحضارة الاسلامية وهي مراكش[101]. وكون مراكش تتوسط بلاد المغرب الاقصى، هي من بين دوافع ابن تاشفين في بناء هذه المدينة وجعلها عاصمة لدولة المرابطين في موقع استراتيجي ومركزي، إضافة إلى كونها رباط الدولة المرابطية القائمة على الجهاد ونشر الإسلام، فصارت مركزا للجيوش الصحراوية الذي ضاقت بهم أغمات؛ الأمر الذي دفع يوسف إلى قيامه بشراء موضع بأرض مراكش بمبلغ ينحصر في ألف درهم، وترجع أسباب اختياره للموقع بحكم قربه من المنابع المائية وبجوار مدينة أغمات التاريخية، كما أن مراكش تجمع بين مناخ الجبل والبحر والصحراء[102].

---

[99] إبراهيم الهلالي، **حضارة مراكش والإشعاع الفكري لجامعة ابن يوسف**، ط.1، المطبعة الوراقة الوطنية، مراكش،2001م، ج.1، ص. 23.
[100] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، م.س، ص. 161.
[101] **تاريخ المغرب وحضارته**، م.س، ص. 19-20.
[102] إبراهيم الهلالي، **حضارة مراكش والإشعاع الفكري لجامعة ابن يوسف**، م.س، ص. 24-25.

وهناك من يشير أن بناء حاضرة مراكش ثم في سنة 463هـ حينما نزلت كل من قبيلة لمتونة ومسوفة من البربر

رحبة مراكش ليتخدوها دار ملكهم، وذلك لتموقعها وسط المغرب الأقصى[103]. وقد اشتهرت مراكش بكونها من أبرز الحواضر الاسلامية ببلاد المغرب الكبير، وقد كانت أغمات هي عاصمة المرابطين لكن يوسف بن تاشفين أراد بناء مدينة تكون قاعدة لدولته، فأسس مراكش على دعائم إسلامية والحكم بما أنزل الله والفهم الصحيح للدين، وقد كان مسجد مراكش أول ما أسس من بناء هذه المدينة[104].

أجمع الدارسون على أن يوسف بن تاشفين هو من أسس مدينة مراكش العريقة، فجعلها حاضرة ملكه وعاصمة لدولته دولة المرابطين منذ ذاك الحين، لتصير عاصمة الموحدين من بعدهم، وكذلك عاصمة للدولة السعدية في القرن الحادي عشر للهجرة والسادس عشر للميلاد.

2-دخول فاس وتحرير الشمال المغربي

لم يتوقف يوسف بن تاشفين عند هذا الحد؛ بل سار لاستكمال وحدة المغرب الذي مازال نصفه الشمالي خارجا عن سيطرته، فأعد العدة وجند الأجناد لغزو الشمال وفتح مدينة فاس التي كان المغراويون يتحصنون بها، بحيث شكل جيشا ضخما في سنة 454هـ، يتكون من مئة ألف فارس من الصنهاجيين والزناتيين والمصامدة للدخول إلى فاس سنة 455هـ، ونازل قلعة فازاز فحاصرها تسع سنوات وقضى على الزناتيين بعد أن أخدها منهم [105]؛ وكان بفاس رجل يدعى معنصر وقام يوسف بالزحف إليه وتمكن من فتح بلادهم والاستيلاء على معاقلهم، بعد حرب طويلة وصراع كبير مع معنصر هذا ومع أمراء مغراوة، إضافة إلى نزاعه ضد برغواطة، فدخل إلى فاس عام 464هـ الموافق ل 1071م [106]، وقد انطلق من مراكش وفي طريقه إلى فاس التي كان بها الزناتيون متحصنون بها، فاصطدم بقبائل عديدة في مدينة صدينة، فتمكن المرابطون من سحقهم والمتابعة نحو فاس تم صفرو، حيث قضى على أولاد مسعود المغراوي فرجع إلى مدينة فاس، فحاصرها ودخلها دخوله الأول سنة 454هـ [107].

قام يوسف بعد فتحه لمدينة فاس بهدم الأسوار الفاصلة بين عدوتي القرويين والأندلس، ليتوجه إلى طنجة الموالية لبني حمود حيث انحاز إليهم مهدي الكزنائي صاحب مكناسة، وفي نفس الوقت واجه يوسف تميم

---

[103] حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام: السياسي، الديني، الثقافي، الإجتماعي**، م.س، ص. 115.
[104] طارق السويدان، **الأندلس التاريخ المصور**، م.س، ص. 284.
[105] **المغرب عبر التاريخ**، م.س، ص. 161.
[106] **تاريخ المغرب وحضارته**، م.س، ص. 26.
[107] الخليفة، **انتصارات يوسف بن تاشفين**، م.س، ص. 65.

المغراوي وقتله بعد أن صارت فاس لاحد أعقاب موسى بن ابي العافية لكنه فتحها عام 462هـ، بعد اخضاع الريف [108]، ومع دخول فاس وبسط سيطرته على المنطقة، امتد سلطان المرابطين فشمل جبال الريف وتامسنا، ووصل إلى إقليم طنجة، فأقدم ابن تاشفين بإصلاح مدينة فاس وجعلها حاضرة واحدة بعد أن كانت مقسمة، وأدار عليها أسوار حصينة وأكثر فيها من بناء المساجد [109].

وبهذا يكون يوسف قد فتح الطريق نحو إخضاع المناطق الشمالية بالمغرب، فزحف إلى طنجة واستولى عليها سنة 470هـ، بعد قضائه على صاحبها الحاجب سكوت البرغواطي ليتمكن من فتح سبتة في العام التالي بمساعدة من أسطول المعتمد بن عباد؛ فقتل يحيى بن سكوت فسار المرابطون لضم المغرب الاوسط واستولوا على تلمسان تحت قيادة المزدلي سنة 472هـ، ثم وجدة سنة 474هـ بعد أن خربت نكور[110]، وقد إستطاع المرابطون السيطرة على الجزء الغربي من المغرب الاوسط، حيث وصلت جيوش يوسف إلى وهران وجبال ونشريس ومدينة الجزائر في حدود بجاية، فعاد يوسف إلى مراكش سنة 475هـ، بعد جهاد استمر لثلاثين عاما، ليكون بذلك قد وحد المغرب الاقصى، وأصبحت دولة المرابطين في مرحلة التمكين الفعلية، فتوجه نحو سبتة المعقل الوحيد الخارج عن سيطرة المرابطين وقد كان يحكمها ضياء الدولة بن الحاجب سكوت، واستطاع الأمير يوسف فتحها عام 477هـ، بعد القضاء على ضياء الدولة [111].

وقد كان للمعتمد بن عباد أمير إشبيلية في الأندلس، دور في إستكمال يوسف لما تبقى من عملية توحيد المغرب، بحيث أرسل ابن عباد سفن بحرية لمساندة المرابطين في فتح سبتة، وقد جاءت بعد ان استنجد المعتمد بيوسف من النصارى الذين يهددون المسلمون في بلاد الأندلس، واشترط عليه ابن تاشفين ضم سبتة من أجل التمكن من العبور والجواز نحو الأندلس لنجدة أهلها، لتكون الأندلس هي محطة يوسف بن تاشفين التالية في حياته الجهادية.

المبحث الرابع: وقعة الزلاقة والجواز الاول للأندلس

في الوقت الذي كان فيه المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين، منشغلون على توحيد المغرب وفتح الحصون وضم المدن والقضاء على الإمارات المشتتة في أنحاء البلاد؛ كانت بلاد الأندلس تمر بفترة عصيبة وحساسة من تاريخها، فبعد سقوط الخلافة الاموية في قرطبة نشأت على أنقاضها دويلات عديدة سميت بدول الطوائف أو ما عرف في التاريخ بملوك الطوائف، فكانت التشرذم والاختلاف سمات هؤلاء الملوك، بينما

[108] **المغرب عبر التاريخ**، م.س، ص. 161-162.
[109] **تاريخ المغرب وحضارته**، م.س، ص. 27.
[110] حركات، **المغرب عبر التاريخ**، م.س، ص. 161-162.
[111] علي الصلابي، **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، ط.1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 1428هـ-2006م، ص. 64.

في نفس الوقت أصبحت الممالك النصرانية في الشمال تتحد من أجل قتال المسلمين والقضاء عليهم وطردهم من الأندلس فيما سمي بالحروب الاسترادادية، وفي وصف أوضاع بلاد الاندلس في ذاك الوقت؛ فقد كانت مؤسفة ومحزنة، بحيث صارت أهم المدن الاندلسية عواصم إقليمية أطلق على كل منها اسم دولة، فكانت تماني دويلات بملوكها يسود بينهم النزاعات والبغض والعداء فيستعينون بالنصارى ضد بعضهم البعض، فكان من أهم هذه الدويلات: الزيريين بغرناطة سنة 403هـ، والحموديين بمالقة سنة 407هـ،والعامريين ببلنسية عام 414هـ، وبنو العباد بإشبيلية سنة 414هـ، وبني الأفطس في بطليوس عام 421هـ،والإمارة الجهورية في قرطبة بعد سقوط الخلافة سنة 422هـ،ثم ذي النون البربر بطليطلة مند عام 427هـ [112].

لذلك فإن توزع هؤلاء الملوك في الأندلس قد ساء من أحوال البلاد كثيرا، لكن في المقابل اتحدت مملكة قشتالة وأراغون بزعامة ألفونسو السادس ملك قشتالة وحليفه سانشو الثاني، واستطاع الأول احتلال طليطلة سنة 478هـ، وإنتزاعها من يد يحيى بن ذي النون[113]. وقد كان سقوط طليطلة حدث مهول تأثر به المسلمون، وتفجرت في الأندلس إستتارة الشعراء للتحريض على الجهاد والتحدير من تفاقم الخطر الصليبي لألفونسو وجنوده الساعون للقضاء على المسلمين، واجتمع أمراء الاندلس لأول مرة في كلمة مفادها وضع حد للنصارى لكن قواتهم لا تكفي لتحقيق هذا الغرض، فاتفقوا على الاستنجاد بالمرابطين وقائدهم يوسف بن تاشفين الذي اشتهر وذاع صيته بالمغرب[114].

كان حدث إسقاط طليطلة عام 478هـ، من قبل القشتاليين بمثابة جرس إنذار وناقوس خطر في الأندلس المسلمة، وعلى المسلمين فيها الاستعداد للحرب والجهاد ضد الأعداء البغاة، فقام أهل الاندلس بطلب النجدة من يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين والقوة الصاعدة في بلاد المغرب.

1-جواز الأندلس الأول

أصبح المسلمون في بلاد الأندلس مهددين وفي خطر كبير، فقد استطاع النصارى دخول طليطلة بعد حصار طويل فتك بأهلها، وكان العامل الرئيس وراء هذا هو الخلاف والصراع الذي ذب بين ملوك الطوائف إضافة إلى ضعفهم وقوة عدوهم، وتخوف أهل الأندلس من اجتياح النصارى لكامل الاراضي الأندلسية، فقد عجز أمراء الطوائف من حماية أراضيهم، مما شجع مملكة أراغون وإمارة البرتغال للتقدم نحوهم، واضطروا فيما بعد إلى طلب النجدة من سلطان المغرب، حيث دفعتهم رعاياهم إلى ذلك، وبالإضافة

---

[112] إبراهيم الهلالي، **حضارة مراكش الإشعاع الفكري لجامعة ابن يوسف**، م.س، ص. 196-197.
[113] **المغرب عبر التاريخ**، م.س، ص.163-164
[114] علي الصلابي، **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، م.س، ص. 71.

إلى هذا فقد توافد الفقهاء الأندلسيين على يوسف بن تاشفين الذي رحب بهم واعتبر الأمر فرصة لخدمة الدين ومد دولته، فعبر إلى الأندلس بجيش ضخم أواسط عام 478هـ1085م[115].

شهدت مراكش وفود كبيرة قدمت من الأندلس بزعامة بعض الفقهاء تطلب العون من أمير المرابطين، حيث كانت سياسة يوسف بن تاشفين تهدف إلى الوحدة الإسلامية وإنقاد ما تبقى من الإسلام في الأندلس، فاستشار يوسف مجلسه حيث كانت التجارب قد صقلته وبلغت دروة نضجه وقد كان يومئذ في السبعين من عمره[116].

بدأ يوسف يعد العدة والتجهيز للعبور من أجل إنقاد الأندلس بلادا وعبادا، لكن سرعان ما رفض حكام الجنوب الأندلسي على رسو السفن المرابطية في شواطئهم، مع أن ابن تاشفين أعطى لهم المواثق والعهود بأنه لا يريد غزوهم وإنما الحد من المد النصراني وتقليم أضافر ألفونسو، فاجتمع العلماء مع المعتمد والمتوكل حاكم بطليوس وابن حبوس ملك غرناطة، وبعد مداولات قرروا إرسال وفد إلى يوسف بن تاشفين فوافق المعتمد بن عباد [117]، وبعد قبول يوسف الدعوة أنهى استعداداته وأمر بعبور الجمال التي كانت خطة الحرب في ربيع الأول من سنة 479هـ ،فعبر بجيشه من سبتة إلى الجزيرة الخضراء وقد تعهد أمراء الاندلس بتقديم المؤن والجند، فلبث يوسف بإشبيلية ثمانية أيام كان يحتسب فيها ويتعبد [118]؛ وبعث يوسف فور وصوله إلى إشبيلية بملوك الأندلس يستنفرهم للجهاد، فسار نحو بطليوس قاصدا سهل الزلاقة ونظم جيشه وجعل للأندلسيين جيشا وللمرابطين جيش، واضطر ألفونسو السادس بعد هذا لفك الحصار عن سرقسطة، ثم عاد إلى طليطلة وأعلن النفير العام [119].

واستعد يوسف بن تاشفين لمعركة مصيرية ضد ألفونسو والصليبيين في أرض الأندلس بالقرب من بطليوس، سميت بمعركة الزلاقة والتي تعد من أكبر المعارك في التاريخ الاسلامي عموما والتاريخ الأندلسي خصوصا.

2-موقعة الزلاقة

بعد الاستجابة لدعوة الجهاد انطلق يوسف بن تاشفين من الجزيرة الخضراء إلى إشبيلية، ومنها إلى ربوة الزلاقة التي وقعت فيها إحدى أكبر معارك تاريخ الإسلام والأندلس، والتي انتصر فيها الأمير المرابطي على أكثر من 300 ألف مقاتل من قشتالة والبرتغال والفرنجة، في التاسع عشرة من رجب عام 479

[115] مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته**، م.س، ص. 30-31.
[116] شوقي أبو خليل، **الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين**، م.س، ص. 33.
[117] طارق السويدان، **الأندلس التاريخ المصور**، م.س، ص. 285.
[118] **الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين** م.س، ص. 39-40.
[119] الصلابي، **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، م.س، ص. 90-91.

للهجرة، وعلى إثر هذا الانتصار بدأت الوفود تهاجر من المدن الاندلسية إلى مراكش لتقديم الولاء والاخلاص ليوسف بن تاشفين أمير المسلمين في قصره المتواضع[120].

جاءت هذه الموقعة في السنة نفسها من جوازه الاول لأرض الأندلس أي في سنة 479هـ، وكانت معركة عظيمة ضد ألفونسو السادس وجيشه المكون إلى جانب قشتالة مملكة نافار وأراغون، وفي الجانب الاخر القوات الإسلامية بقيادة المعتمد بن عباد وابن عائشة، بينما احتفظ يوسف بالجيش الاحتياطي الذي بفضله تم النصر للمسلمين، فقد أحدث النفاريون في البداية اضطرابا في قوات المسلمين، فكان الرهبان في صفوف النصارى والفقهاء بجانب المسلمين يحثونهم على الصمود والشهادة، كما أن المعركة شهدت فرار ألفونسو السادس في خمسمئة فارس؛ بينما جمع المرابطون رؤوس القتلى النصارى بعدد قدر عشرون ألفا رغم تفوق الصليبيين في العدد[121].

وبالعودة إلى تفاصيل بداية المعركة، فقد عسكر الجيشان المتحاربان على مقربة من بطليوس، حيث بات لا يفصل بينهما سوى نهر على مدى ثلاث أيام والرسل تتجاوب بينهما، فأرسل يوسف إلى ألفونسو كتاب يخيره باعتناق الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب، وهي رسالة من مسلم قائد تذكرنا بالفاتحين الأوائل، ورد عليه ألفونسو برسالة طويلة يملؤها الغضب والوعيد، فلما قرأها ابن تاشفين قال: هذا الكتاب طويل، فقلبه فكتب على ظهره "الذي يكون ستراه"، فارتاع له ألفونسو وعلم أنه ابتلي برجل لا طاقة له به[122].

اتفق ابن تاشفين وألفونسو في تحديد يوم الاثنين كلقاء للمعركة، لكن الأخير لم يحترم هذا الاتفاق؛ اذ كانت خطته مبنية على الغدر والخيانة، والتقى الجيشان في سهل الزلاقة واشتبكا الفريقان في معركة رهيبة ملحمية، حيث هاجمت فيه مقدمة النصارى وقائدهم المدعو البارهانس، على مقدمة المسلمين بقيادة المعتمد وابن عائشة، وثبت المسلمون بصعوبة وصبر شديد فجرج المعتمد إثر تفوق الجيش النصراني، وعند إخبار يوسف بأوضاع المعركة قرر امداد قواته، فأرسل القائد سير بن أبي بكر على رأس جيش استطاع قلب النصارى والاتصال بقوات ابن عباد، مخففا الضغط على المسلمين الذين تراجعوا بسبب هجمات ألفونسو وجنوده، وكان يوسف يدبر ضربة نهائية يحسم بها أمر المعركة، فاستطاع ان يقلب الموقف لصالح الجيش الاسلامي وتمثلت ضربته في خطة فاجأت العدو تماما، فقد تقدم بقواته الاحتياطية متجاوزا النصارى المهاجمين فاضرم النار في معسكرهم وسحق حاميتهم ليدخل بعدها المعركة ، فظهرت علامات الرعب وآثار الهزيمة على النصارى، وكان يوسف قد اصطحب معه جمال كانت ذات نفع كبير تحمل العتاد وتجمح منها خيل النصارى، فقاتل المسلمون في ذاك الوقت للشهادة واضطربت القوات النصرانية.[123]

---

[120] الهلالي، **حضارة مراكش**، م.س، ص. 198-199.

[121] **المغرب عبر التاريخ**، م.س، ص. 163.

[122] **الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين**، م.س، ص. 43-44.

[123] حامد الخليفة، **انتصارات يوسف بن تاشفين** م.س، ص. 146-147-148.

ويحيل اسم المعركة، معركة الزلاقة لوقوعها على سهل الزلاقة في موضع قرب بطليوس، وقد جاء إسم الزلاقة لانزلاق الخيول والناس نتيجة الدماء السائلة والمحتدمة في سهل بطليوس[124]، وفي نهاية المعركة فر النصارى من ميدان الحرب، فصلى المسلمون صلاة الفجر بعد مضي الليل وسط المقتلة التي كانت من أعظم الوقائع العسكرية قتل فيه ملوك الشرك وأنصاره، ولم ينجوا إلا ألفونسو ومن معه في أقل من خمسمئة فارس، وبهذا النصر المؤزر الذي أحرزه المسلمون بقيادة يوسف بن تاشفين انتهت الموقعة التي دامت ليوم واحد فقط[125].

كان فرار ألفونسو إلى طليطلة وتحصنه بها بمثابة إعلان لنهاية المعركة؛ بعد أن تمكن المرابطون من سحق القشتاليين وإلحاق الهزيمة بهم في معركة حامية الوطيس في موضع الزلاقة جنوبي غرب بطليوس[126]، وقد كانت نية يوسف متابعة غزواته لإنهاء ألفونسو واخضاع طليطلة؛ لكن سرعان ما عاد بعد المعركة إلى المغرب، وقبل مغادرته نصح الحكام بالوحدة والاتفاق، وترك في الأندلس قوة من جنده بقيادة سير بن أبي بكر لمتابعة الجهاد[127].

وقد حققت هذه المعركة أهدافا منها صد خطر الصليبيين عن الاندلس وأبقت بدولة الاسلام هناك فترة من الزمن وأمدت من عمرها، ولكن معركة الزلاقة هذه لم تنهي المشاكل الداخلية للبلاد الأندلسية، إد سرعان ما عاد ملوك الطوائف إلى النزاع والصراع، وعادت الممالك النصرانية في الشمال إلى حشد قواتها والتربص بالمسلمين ومهاجمتهم.

المبحث الخامس: الجواز الثاني والثالث وحكم البلاد

1-جوازالأندلس الثاني

استنجد أهل الأندلس من جديد بيوسف بن تاشفين؛ إثر عودة النصارى مجددا للعدوان على أراضي المسلمين، فأنشأوا حصن منيع يدعى لبيط بأمر من ألفونسو، وصار هذا الحصن مصدر قلق وخطر للمسلمين، فجاز يوسف إلى الأندلس سنة 481هـ أي بعد عامين من معركة الزلاقة، ملبيا نداء الأندلسيين الذين توافدوا عليه، خاصة بعد عبور المعتمد بنفسه إليه.

---

124 السويدان، **الأندلس التاريخ المصور**، م.س، ص. 290.
125 **انتصارات يوسف بن تاشفين**، م.س، ص. 150-151.
126 **تاريخ المغرب وحضارته**، م.س، ص. 32.
127 **الأندلس التاريخ المصور**، م.س، ص. 291.

وصل يوسف إلى الجزيرة الخضراء في ربيع الأول من عام 481 للهجرة، وكتب إلى أمراء الأندلس يدعوهم إلى الجهاد فحضروا جميعا إلا ابن الأفطس صاحب بطليوس[128]؛ وبات حصن لييط يهدد دويلات الطوائف الواقعة في الشرق الاندلسي، فتوجه يوسف بجيشه نحو الحصن فحاصره حصارا شديدا، لكن سرعان ما انسحب منه لتوافد التعزيزات من ألفونسو، وأخلى الأخير الحصن وهدمه ليتراجع إلى طليطلة، فزال الخطر عن شرق الأندلس[129]. وكان من بين أسباب انسحاب يوسف من الحصن، ظهور صراعات بين ملوك الطوائف؛ حيث ساء يوسف ذلك كثيرا وتضايق من خيانة ابن رشيق وفرار جيشه الذي منع الزاد عن المرابطين، مما أدى إلى اضطراب الأحوال فاستغل ألفونسو ذلك فأسرع بإعداد جيش لإنقاذ الحصن، ليتراجع ابن تاشفين خشية من معركة خاسرة[130]، وكان من نتائج هذا الجواز أن ظهرت حقيقة ملوك الطوائف؛ وما جبلوا عليه من حب للفتن والمشاحنات فيما بينهم لقلة صبرهم وضعف إحساسهم بالمسؤولية، فأفسدوا على يوسف جهاده لتنكشف حالتهم وتظهر عوراتهم[131].

وفي جانب أخر تمكن ابن تاشفين من اجتثاث القوات الصليبية المتمركزة في حصن لييط، وازداد يقينا بأمراء الطوائف الغير المخلصين للجهاد والغير المعنيين بأمور المسلمين في البلاد، بل اقتصر همهم في المحافظة على عروشهم[132]، فعاد يوسف بن تاشفين إلى المغرب وفي قرارة نفسه إزالة ملوك الطوائف وحسم أمرهم، باعتبارهم المشكل الأول والأكبر لدولة الأندلس والمسلمين فيها.

2-الجواز الثالث وضم الأندلس

سئم يوسف بن تاشفين من ضعف ملوك الطوائف؛ وتواطئهم مع العدو الصليبي ضد بعضهم البعض، وقد كان الجواز الثاني خير دليل على حقيقة أمرهم وخيانتهم للمسلمين، فقرر القضاء عليهم وخلعهم بفتوى من علماء الأندلس والمغرب إضافة إلى علماء المشرق، فجاز البحر للمرة الثالثة قاصدا بلاد الأندلس. وكان قبل ذلك؛ قد جاءت القضاة الأندلسيين ليشتكوا من الأمير يوسف عن عجز ملوك الطوائف وضياع هيبتهم، فاستمع إليهم وقد مكنه هذا من تحقيق خطة رسمها منذ زمن لضم البلاد، ومن بين هؤلاء القضاة قاضي غرناطة ومالقة اللذان أصدرا فتوى مفادها أن ملوك الطوائف ليسوا أهل للحكم بسبب خروجهم عن أحكام القرآن، وبالإضافة إلى أن يوسف استشار علماء المشرق قصد الاطمئنان، فأيدوه جميعا ومن بينهم الغزالي[133].

---

[128] **فقه التمكين عند دولة المرابطين** م.س، ص. 108-109.
[129] **الأندلس التاريخ المصور**، م.س، ص. 292-293.
[130] **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، م.س، ص.109.
[131] **انتصارات يوسف بن تاشفين**، ن.م، ص. 168.
[132] نفسه، ص. 171.
[133] كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط.15، دار العلم للملايين، بيروت،2002م، ص. 321-322.

وقد كان من أهم أسباب إقدام يوسف بن تاشفين بعزل أمراء الأندلس بشكل مباشر، أنه لما عبر البحر للمرة الثالثة قصد الجهاد في سبيل الله، سار حتى عبر طليطلة وحاصر ألفونسو بها لكنه لم يفلح في دخولها، بسبب تقاعس ملوك الطوائف عن مساعدته الأمر الذي أثار حنقه عليهم، فرجع عن طليطلة ليعبر نحو غرناطة وفتحها ونفى صاحبها إلى مراكش بعد حصار طويل، فعاد إلى المغرب وأنابه قائده سير بن أبي بكر ليكمل ما بدأه نحو إخضاع الأندلس [134]، وكان أمير غرناطة عبد الله بن بلكين الصنهاجي أول من أرسل أسيرا نحو أغمات، فتبعه والي مالقة الذي أرسل إلى إفريقية، وبعد رجوع يوسف إلى المغرب ولى سير بن أبي بكر الأمر، فسار الأخير بجيوش المرابطين نحو إشبيلية، وجيش أخر على رأسه أبي عبد الله بن الحاج إلى قرطبة، وبقي يوسف في سبتة بقواته الاحتياطية [135]، ودخل المرابطون قرطبة بعد قتل حاكمها الذي رفض الاستسلام، ثم سارت القوات المرابطية إلى إشبيلية فأرسل ألفونسو السادس جيشا بهدف دحر المرابطون وإبقاء الأندلس ممزقة مستغلا الفرصة، لكن ما لبت حتى هزم جيشه على يد القائد سير بن أبي بكر في معركة عنيفة شمال إشبيلية، ووصلت أنباء هذا النصر جميع أصقاع الاندلس وأعلن حاكمي كل من دانية والجزر الشرقية انضمامهما لدولة المرابطين [136].

وقد توالت المدن الاندلسية في السقوط على يد المرابطون، فبعد قرطبة التي سقطت سنة 484هـ، أخضعت قرمونة في نفس السنة بعد حصار قصير، لتتبعها إشبيلية في رجب من سنة 484هـ[137]. وبالحديث عن إشبيلية وأميرها المعتمد بن عباد أكبر ملوك الطوائف وأفضلهم، فقد رفض الأخير تسليم المدينة بالرغم من أهلها الذين وافقوا على الانضمام لدولة المرابطين، واضطر المعتمد للاستسلام بعد مقاومة منه، وأصبحت إشبيلية بعد ذلك مع مدن الجنوب في طاعة المرابطين، ونفي المعتمد بعدها أسيرا إلى أغمات ومات بها سنة 488هـ[138].

في سنة 485هـ، أمر يوسف قائده ابن عائشة بالمسير إلى دانية وتحريرها إضافة إلى شاطبة تم بلنسية[139]، وانتهى بذلك عهد ملوك الطوائف بالأندلس، ودخلت البلاد فيما عرف في تاريخها بعصر المرابطين، حيث صارت الأندلس جزءا لا يتجزأ من الدولة المرابطية بزعامة يوسف بن تاشفين، الذي تمكن أخيرا من توحيد الأندلس مع المغرب، في دولة كبرى تمكنت من بسط سيطرتها على مناطق الغرب الاسلامي.

المبحث السادس: بطل الغرب الاسلامي وسلطان العدوتين

[134] **تاريخ الإسلام: السياسي، الديني، الثقافي، الإجتماعي**، م.س، ص. 118-119.
[135] **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، م.س، ص. 117-118.
[136] **الأندلس التاريخ المصور**، م.س، ص. 296-297.
[137] **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، م.س، ص. 118.
[138] **الأندلس التاريخ المصور**، م.س، ص. 297-298.
[139] **تاريخ الإسلام: السياسي، الديني، الثقافي، الإجتماعي**، م.س، ص. 119.

بعد إنهاء الدويلات الأندلسية التي عرفت بملوك الطوائف في الأندلس، دخلت البلاد في سلطة المرابطين وانضمت بذلك إلى المغرب في دولة كبرى عاصمتها مراكش، وقد تم تحقيق هذه الوحدة بفضل المهارات السياسية والقيادية البارعة للأمير يوسف بن تاشفين، الذي استطاع توحيد الغرب الاسلامي تحت حكم واحد مركزي.

فبعد التمزق الذي حول المغرب إلى ما يشبه فسيفساء من الكيانات الجهوية، تمكن المرابطون من إسقاط هذه الامارات منذ منتصف القرن الخامس للهجرة، منشئة على أنقاضها دولة جامعية وكيانا جامعا للمغرب والأندلس إيذانا بانفتاح عصر جديد [140]، فصار المغرب الأقصى إضافة إلى المناطق الغربية من المغرب الأوسط، والصحراء الكبرى ثم الأندلس الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية، كيانا واحدا ذات سلطة مركزية واحدة ومذهبا سنيا صحيحا، وقد حقق هذا البطل الصحراوي هذا العمل بإعتباره عملا وحدويا في كل من المغرب الأقصى والأوسط إضافة إلى الاندلس والصحراء إلى حدود غانة ومالي، وبذلك ضمن للدولة المرابطية أن تنعم بوحدة سياسية ومذهبية عقائدية لا سيما في الأندلس، بعد محو دويلات الطوائف المتخاذلة والمتواطئة مع العدو الصليبي، فصارت خاضعة للحكم المركزي الذي ينبعث من كرسي الدولة بحاضرة مراكش [141] .

استطاع ابن تاشفين توحيد المغرب الاسلامي بدءا من جهاده في جنوب المغرب والصحراء، منذ أن كان قائدا عسكريا في الجيش المرابطي مرورا بتوليه مقاليد الحكم وإخضاع المغرب الأقصى، ثم الجواز إلى الأندلس وهزيمة النصارى في معركة الزلاقة، حيث كانت الأندلس المحطة الأبرز لجهاد يوسف؛ وقد كان عزل ملوك الطوائف الخطوة الأخيرة لاستكمال وحدة منطقة الغرب الإسلامي، بعد جوازه الثالث للأندلس ونفي أمراؤها سوى صاحب سرقسطة الذي دخل في طاعته.

صارت دولة المرابطين في ضل حكم يوسف بن تاشفين دولة متسعة الاطراف **"**مما جعل منها امبراطورية تمتد في قارتين، حدودها الشمالية في ما بين نهر تاجة ووادي آنه في شبه جزيرة إيبيريا في أوروبا وحدودها الجنوبية في افريقيا المدرارية **"** [142]، وقد استعمل يوسف كافة الاسباب المشروعة من أجل تحقيق هدف الوحدة هذه، كالإصلاح ذات البين بين القبائل المتناحرة والقضاء على الفتن والشرور والعمل على حماية دولته من الاعداء سواء من الداخل أو الخارج، مثل إنهاء البرغواطيين والمغراويين وصد الحماديين، فتمكن من إعداد الامة إعدادا جهاديا [143].

---

[140] محمد القبلي، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، ط.1، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط،2011م، ص.161

[141] **حضارة مراكش والإشعاع الفكري لجامعة ابن يوسف**، م.س، ص. 216-217.

[142] مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته**، م.س، ص. 34.

[143] **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، م.س، ص. 129-130..

كان هذا ما يسعى إليه يوسف بن تاشفين منذ توليه مقاليد السلطة، فانتهى إلى تأسيس دولة شاسعة ببلاد المغرب الإسلامي فصار بذلك أمير وسلطان العدويتين؛ العدوة المغربية والعدوة الأندلسية، وكان للعلماء دور كبير وبارز في توحيد العدوتين، حيث كانت آراؤهم وفتاواهم عاملا مهما لتحقيق هذه الوحدة، التي أرادوا لها أن تكون وسيلة لحفظ ما تبقى من الإسلام في الأندلس[144]، وقد تمكنت دولة المرابطين في هذا العهد من أن توحد المغرب الأقصى مع الأندلس وبعض من المغرب الأوسط تحت لواء دولة واحدة، وكسرت شوكة الجماعات المنحرفة عن الاسلام في بلاد الريف وتامسنا، وإعادة هذه النواحي وأهلها إلى رحاب الاسلام السني القويم، بالإضافة إلى إنقاذ الإسلام من الزوال في الأندلس [145].

وقد كان من تمرات جهاد يوسف بن تاشفين في المغرب والأندلس؛ أنه قضى على الإمارات المستقلة ذات المنهج المنحرف والعقيدة الضالة في المغرب الأقصى، كإمارة بورغواطة ونحلتها الزنديقية بالإضافة إلى صد المد الصليبي للممالك الشمالية النصرانية ببلاد الأندلس، وخلع ملوك الطوائف الجاثمين على عروشها والمتسببين في مشاكلها، وبالتالي إدخال البلاد تحت سلطته بعد أن كان قد سيطر على المغرب بالكامل، فأسس لأول مرة دولة موحدة تمتد على أصقاع الغرب الإسلامي، فصارت دولة المرابطين من أقوى دول العالم في ذاك العصر، وتسمى يوسف بعدها بأمير المسلمين وناصر الدين كلقب تميز به في التاريخ.

المبحث السابع: لقب أمير المسلمين والشرعية في الحكم

رغم المكانة المرموقة التي وصل إليها يوسف بن تاشفين، في بناء دولة المرابطين التي رسخت أركانها في مناطق الغرب الاسلامي، إلا أن من شدة تواضعه لم يتخذ لقب أمير المؤمنين أو قام بإعلان الخلافة؛ واكتفى بلقب أمير المسلمين وأعلن نفسه أميرا معينا من طرف الخلفاء العباسيين في بغداد، باعتبارهم أهل الخلافة ومن قريش وآل البيت، وقد كان يوسف يحترم منزلة الخلافة العباسية احتراما كبيرا رغم الضعف الذي كانت تعيش فيه، والقوة والعزة التي كان هو يحظى بها.

في تعبيره عن هذا الاحترام وسعيا منه للتواصل مع الخلافة العباسية، أرسل يوسف بن تاشفين وفدا إلى بغداد يحمل الهدايا وكتاب يتضمن فيه ماقدر به من جهود في سبيل نصرة الدين بهدف اعتراف العباسيين به، وبطبيعة الحال لم يرسل هذا الوفد إلى مصر حيث الفاطميين لكونهم شيعة عبيديين، فضلا عن الضعف الذي كان يتسرب إلى دولتهم، وقد استجابت الخلافة العباسية ليوسف وأرسلت الخلع والتقليد[146]؛ وإضافة

---

[144] محمد محمود بن بيه، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، ط1، دار الأندلس الخضراء، جدة، دار ابن حزم،1421هـ-2000م، بيروت، ص.246

[145] **تاريخ المغرب وحضارته**، م.س، ص. 43.

[146] حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس: عصر المرابطين والموحدين**، م.س، ص. 53-54.

إلى هذا لم يصرح ابن تاشفين نفسه بإسم أمير المسلمين إلا بعد أن أرسل البعثة للخليفة العباسي المستظهر يستعينه في جواز حمل هذا اللقب، فعرض هذا الأخير الأمر على الفقهاء بزعامة الإمام الغزالي سنة 484هـ، فأفتوا جميعا باستحقاق يوسف لهذه التسمية، سيما بعد النصر الذي أحرزه في الزلاقة [147]. وتؤكد الدراسات أن المرابطون اعترفوا بسلطة الخلافة العباسية في وقت مبكر، ففي سنة 450هـ أي في عهد أبو بكر بن عمر ضرب المرابطون السكة وكتبوا إلى جانب اسم الأمير أبي بكر في نفس السنة اسم (عبد الله أمير المؤمنين) ومن المرجح أن المقصود هو خلفاء بنو العباس المعاصرين للمرابطين[148].

رأى المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين أن مبايعة الخليفة العباسي أمر واجب، لكونهم من أهل السنة والجماعة، فاعترفوا بخلافة بنو العباس، واتخذوا السواد شعارا لهم ونقشوا اسم الخليفة على النقود منذ منتصف القرن الخامس للهجرة[149]، ونشير هنا أن يوسف وبالرغم من بعده عن أرض الخلافة بل حتى إن شوكته أقوى من شوكة الخليفة يومئذ، إلا أنه تسمى بأمير المسلمين دون أمير المؤمنين أدبا مع الخليفة وورعا منه، ويدل هذا على أصالة انتمائه الإسلامي وشدة غيرته على الدين وتمسكه الكامل بوحدة الأمة على امتداد أصقاعها[150].

كان الاعتراف والتقدير والاحترام لخلافة بغداد من طرف يوسف بن تاشفين؛ من أجل الحصول على شرعية حكمه وسلطانه في منطقة الغرب الإسلامي، فمع اتساع نفوذ دولته اتخذ ابن تاشفين لقب أمير المسلمين لكي يتماشى مع طبيعة حكمه بعد أن أبى لقب أمير المؤمنين وذلك احتراما للخلافة العباسية، فاتخذ شعار العباسيون في الملابس والأعمال من أجل كسب صفة شرعية [151]، فكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كلما ازداد ملكه واتسعت دولته؛ ازداد تواضعا والتصاقا بجماعة المسلمين وإمامهم، وقد كان اتصاله بالخلافة العباسية في بغداد على ما هو من القوة والاستغناء؛ يعد درسا بليغا في مستوى الفهم الواعي والعميق لمصلحة الامة، وتروي كتب النقد أن المرابطين دعوا على منابرهم للخليفة العباسي منذ بزوغ جماعتهم في المغرب قبل قيادة يوسف عام 450هـ، ليعزز ابن تاشفين ذلك بإرساله سفارة إلى بغداد لتحقيق الصلة والربط الروحي، وذكر أن هذا حدث بعد معركة الزلاقة، وقد كانت سفارة أمير المسلمين إلى دار الخلافة برئاسة عبد الله بن محمد ابن العربي المعارفي ووالده القاضي أبو بكر[152]؛ وقد حرص الخليفة العباسي على أن يرد بنفسه على خطاب يوسف لكون هذا الخطاب مكسبا معنويا كبيرا، فقد صارت دولة المرابطين سندا قويا روحيا للخلافة العباسية وبذلك تكون قد نفذت أوامر ربها واسترشدت بتوجيهات

147 حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، م.س، ص. 301.
148 حركات، **المغرب عبر التاريخ**، م.س، ص. 186-187.
149 علي الصلابي، **فقه التمكين** م.س، ص. 137.
150 الخليفة، **انتصارات يوسف بن تاشفين**، م.س، ص. 163.
151 **تاريخ الإسلام**، م.س، ص. 399.
152 **انتصارات يوسف بن تاشفين**، م.س، ص.181-182.

نبيها، لتصبح جزءا من الخلافة التي اكتفت منها بالطاعة المعنوية نتيجة اعتراف أمراء المرابطين وعلى رأسهم يوسف بن تاشفين بخلافة بنو العباس، حيث كانوا يعتقدون اعتقادا راسخا أن ملكهم لن يعتبر مشروعا إلا إذا باركته الإمامة القرشية [153].

اكتسب يوسف بن تاشفين الشرعية في السلطان والحكم، وصار يدعى بأمير المسلمين وناصر الدين، فأصلح أمور دولته ورد أحكام القضاء الشرعي إلى البلاد حيث كان يتفقد أحوال الرعية كل سنة، وقد جرى تعيين القضاة من نخبة العلماء والفقهاء سواء في المغرب والأندلس حيث كانوا غير صنهاجيين، ليبرهنوا على رغبتهم في تحقيق العدل بين الناس المستمد من الكتاب والسنة [154]، وعرف عهد ابن تاشفين بتعظيمه لشأن العلماء، حيث كان يصرف الأمور العامة إليهم ويأخذ برأيهم فيها فكان كثير المشورة لهم[155]، وقد أبطل يوسف جميع الضرائب والمكوس التي لم يقرها الشرع، لتعوض بموارد بيت المال الشرعية من الزكاة والأعشار وأخماس الغنائم والجزية [156]. كما أن أمير المسلمين يوسف بادر بنفسه أيام حكمه إلى الإشراف مباشرة على شؤون الدولة وأمور الرعية والناس وزيارتهم والاستماع إليهم، وكان يشدد الرقابة على ولاته ولا يتردد في عزلهم إن أساؤوا، فقد كان يضع مصلحة الرعية والناس في المقام الأول[157].

عرف يوسف بن تاشفين واشتهر في العالم الإسلامي بأنه سلطان مسلم عادل مجاهد ومخلص، ولا غرابة في ذلك فقد كان الإمام الغزالي يثني عليه كثيرا بل قيل إنه فكر في الانتقال إلى المغرب للعيش في كفنه[158]، وإضافة إلى ما يقال فحجة الإسلام أبي حامد الغزالي؛ لما سمع من صفات يوسف بن تاشفين الحميدة وميله أهل العلم، عزم على التوجه إليه فوصل الاسكندرية وأخذ في الاستعداد للرحيل، لكنه علم بنبأ وفاته فعدل عن رأيه، وكان يوسف معتدل القامة، أسمر اللون تحيف الجسم خفيف العارضين وكان محبا للعفو والصفح والاستماع للموعظة والخشوع [159]، كما كان من صفاته الزهد والورع والتقوى والموهبة في القيادة والسياسة وكان له فضل كبير على المغرب والأندلس، فقد عاش المسلمون في عهده رخاء واستقرار وازدهارا لمنطقة الغرب الإسلامي وتوفي رحمة الله عليه سنة 500 للهجرة، ليكون بذلك قد عاش قرن من الزمن وحياة مليئة بالجهاد وإعلاء كلمة الحق، وولى العهد ابنه علي الذي استكمل مشوار دولة المرابطين التي قامت على أسس الإسلام للدعوة والتوحيد، وإن لم يكن بنفس المستوى الذي كان عليه أبوه يوسف بن تاشفين الذي يعد من العظماء والكبار الخالدة أسماؤهم في التاريخ.

---

[153] علي الصلابي، **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، م.س، ص. 155-156.
[154] **المغرب عبر التاريخ**، م.س، ص. 200.
[155] محمد بن بيه، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، م.س، ص. 167.
[156] **المغرب عبر التاريخ**، م.س، ص. 213
[157] **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، م.س، ص. 131-132.
[158] **تاريخ المغرب وحضارته**، م.س، ص. 29.
[159] **تاريخ الإسلام: السياسي، الديني، الثقافي، الإجتماعي**، م.س، ص. 119-200.

الفصـــل الثالث

الـصورة الـكـامـلـة لـيـوسف بـن تـاشفـيـن

تمهيد

بعد دراستنا للكتابات التاريخية حول يوسف بن تاشفين؛ خلصنا إلى استخراج صورة كاملة ونهائية عن هذا الرجل وعن حياته وسيرته، فهذه الكتابات التي تنقسم إلى الكتابات التقليدية والحديثة؛ قد صورت لنا يوسف بن تاشفين وسيرته العطرة وشخصيته الفذة والعظيمة؛ في مظهر ومبلغ الرجل العظيم ذات المقام الكبير والشأن الكثير، استطاع أن يسطر اسمه في التاريخ بماء من ذهب، وقادته إنجازاته إلى تصدر قوائم العظماء والشرفاء. وتحولت هذه الصورة إلى صور تشكلت من خلال طباعه وأخلاقه وبطولاته ومكاناته، ليعتبر أحد النماذج التي يقتدى بها من الشخصيات القيادية في التاريخ الإسلامي.

المبحث الأول: الأمير القدوة وأحد عظماء الإسلام

يعتبر يوسف بن تاشفين بحق؛ واحد من عظماء المسلمين الذين جددوا للأمة أمر دينها، ويعد مثال كبير لقائد مخلص لأمته ونموذج أعلى للتضحية والصبر والجهاد في سبيل الله، إضافة إلى خدمة ونصرة الدين وإعلاء كلمة الحق، وازدهرت الدولة الإسلامية في منطقة المغرب ازدهارا كبيرا في عهده، فشجع العلماء وقرب الفقهاء فكان دائما يستفتيهم في كل أمر يقدم عليه.

كان الأمير يوسف بن تاشفين أميرا ذات قدوة حسنة وقيادة بارعة وموهبة عبقرية؛ أهلته لرئاسة دولة من أعظم دول الإسلام، وقد أوقد يوسف من الصحراء الكبرى التي ترعرع فيها؛ إرادة حقيقية وهمة كبيرة في توحيد بلاد المغرب الإسلامي وجمع الناس على قيم الإسلام الكبرى، فرتبته الأحداث وصاغت منه قائدا فذا، وبرهنت الأيام على أن له مقدرة على فهم واقعه وقادر على النهوض بقومه وشعبه نحو حياة إسلامية حضارية أفضل[160]، وكان ظهور مواهب يوسف الإدارية والسياسية منذ أن ولاه الأمير أبو بكر بن عمر على المغرب، وقد برزت مواهبه العسكرية قبل ذلك في معركة الواحات سنة 448هـ، وقد رأينا في الفصلين السابقين كيف انبهر أبو بكر بن عمر حين عودته من الصحراء إثر رؤيته في يوسف بن تاشفين القيادة الحكيمة والسلطان الأفضل للدولة، فتنازل له عن الحكم و زعامة المرابطين؛ بملء إرادته تحت أنظار الأشياخ وأعيان الدولة في موقف عجيب قل نظيره في التاريخ.

[160] علي الصلابي، **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، مرجع سابق، ص. 66.

وسار يوسف في نهج الصالحين لإنشاء دولته مبتدأ ببناء مدينة مراكش واتخادها عاصمة له، ثم توسيع رقعة ملكه وفتح مدينة فاس والشمال المغربي بعد القضاء كليا على الإمارات المتواجدة والمتفرقة بأنحاء المغرب الأقصى، واستطاع بالتالي أن يمد بسلطانه إلى عمق المغرب الأوسط، كما عبر يوسف إلى الأندلس في سلسلة من الجوازات؛ بعد ضعف المسلمين هناك في ضل ملوك الطوائف وتسلط النصارى عليهم، فاستنجد أهل الأندلس بيوسف الذي رأى من تلبية هذه النجدة واجبا ومسؤولية تقع على عاتقه كأمير مسلم، فاستجاب للنداء خدمة للدين وجهادا في سبيل الله، واستطاع دحر العدو الصليبي في موقعة الزلاقة الكبرى عام 479ه، ليكون بذلك قد أنقد الأندلس من سقوط وشيك وأدام من عمرها لما يقارب أربعة قرون أخرى، فأنهى التشرذم والنزاع بين دويلات الطوائف وقضى عليها في النهاية، وضم بلاد الأندلس إلى دولة المرابطين ليكون بذلك قد بسط سيطرته وحكمه في أنحاء الغرب الإسلامي، فصار أول من حقق هذا الإنجاز الفريد من نوعه كما أنه أول من دعي بلقب أمير المسلمين؛ بعد إعلانه رفض لقب أمير المؤمنين الذي يخص خلفاء بنو العباس في ذاك العصر، ونتيجة لاحترامه مقام الخلافة العباسية أقدم على سك العملة باسمه وباسم الخليفة العباسي الذي عاصره، مظفيا نوعا من الشرعية على سلطانه، وأصبح بذلك مواليا للخلافة في بغداد، وقد برز في هذا مدى تواضعه واحترامه لمنزلة الخلافة وسعيا منه نحو الوحدة والتماسك بين الأمة الإسلامية.

كان من ألقاب يوسف بن تاشفين ومسمياته: سلطان الغرب الإسلامي، وأمير العدوتين؛ الأندلسية والمغربية وكذلك ملك اللمتونيين وزعيم المرابطين، إضافة إلى تسميته بأمير المسلمين وناصر الدين كما أنه اتصف بأنه زاهد وورع وكثير العبادة والاستغفار، وعلاوة على ذلك فهو يعتبر صاحب الدعوة المستجابة، فقد دعا ربه يوم عبور البحر في جوازه الأول للأندلس بسبب اعتراض عاصفة بحرية طريق السفينة، فرفع يده يبتهل داعيا: "اللهم إن كنت تعلم أن في جوازنا (عبورنا) هذا خيرا للمسلمين فسهل علينا جواز هذا البحر(عبوره)، وإن كان غير ذلك فصعبه حتى لا أجوزه" [161]، فهدئ البحر على الفور؛ واستجاب الله تعالى نداء هذا العبد يوسف بن تاشفين الذي هب وفي نيته نصرة الإسلام والمسلمين. وقد تجمعت في ابن تاشفين خصال وصفات حميدة كالرجولة وصاحب سيف الحق والعقل السليم والدين الصحيح، إضافة إلى كونه ذو قيم عالية ومبادئ جمة ومناقب حسنة؛ وصلت به إلى منزلة رفيعة ودرجة عالية، جعلت منه قائدا تاريخيا مسلما صار قدوة ونموذج مثالي حفر اسمه كأحد عظماء الإسلام في التاريخ.

المبحث الثاني: المؤسس الفعلي لدولة المرابطين

[161] طارق السويدان، **الأندلس التاريخ المصور**، مرجع سابق، ص. 287.

تأسست الدولة المرابطية في منتصف القرن الخامس الهجري ببلاد المغرب الكبير، وقد كانت قبل ذلك حركة دعوية إصلاحية نشأت على يد عبد الله بن ياسين؛ الشيخ والفقيه المالكي الذي تفرغ لدعوة القبائل الصحراوية إلى الإسلام، خاصة الصنهاجية منها في منطقة الصحراء بالغرب الإفريقي، وقد أسس هذه الحركة عن طريق تكوين رباط قرب ضفاف نهر السينيغال بهدف نشر دعوته حيث اعتمد على قبيلة لمتونة احدى قبائل صنهاجة الكبرى، ويعتبر ابن ياسين الزعيم الديني والروحي للمرابطين؛ وبيده تشكلت القاعدة الأولى للدعوة المرابطية، لتنتقل هذه الدعوة إلى فكرة تأسيس وتنظيم الدولة المرابطية في فترة يحيى بن عمر اللمتوني وأخوه أبو بكر بن عمر الذي يعد أول أمراء دولة المرابطين.

تعتبر سنة 448هـ تاريخ رسمي ابتدأت به دولة المرابطين، بعد دخول جيوشها جنوب المغرب الأقصى وفتح سجلماسة والانتصار في معركة الواحات، لكن القيام الفعلي لهذه الدولة بدأ مع يوسف بن تاشفين؛ الذي رسخ أركان الدولة ووسعها وزاد في عدد الجند والجيش المرابطي، كما أنه بنى العاصمة مراكش واستولى على حاضرة فاس وأخضع المغرب الشمالي وجزء من المغرب الأوسط إضافة إلى ضم الأندلس بعد الجواز إليها.

انتقل المرابطون مع يوسف بن تاشفين إلى مرحلة التمكين؛ بعد مرحلة الدعوة التي حملها عبد الله بن ياسين، ومرحلة المغالبة في عهد الأمير أبو بكر بن عمر [162]، ويرجع ذلك لكون يوسف هو من ثبت دعائم الدولة المرابطية، ونشر الحكم الإسلامي الموحد والمذهب السني الصحيح في بقاع بلاد المغرب؛ الذي كان يعيش حالة من الفوضى والاضطراب السياسي والتمزق الطائفي والتعدد المذهبي الفكري المنحرف، فقد كان المغرب الأقصى يتشكل من إمارات يسودها الجور والظلم والظلال ويغيب فيها الحق والعدل، كإمارة غمارة وبورغواطة ومغراوة وبني يفرن وإمارة نكور وبني خزرون، وقد تكونت معظم هذه الإمارات من القبائل الزناتية بالشمال، إضافة إلى تواجد طوائف شيعية ورافضة والوثنيين في منطقة الجنوب. واستطاع ابن تاشفين القضاء على هذه الإمارات وهذه الكيانات؛ في إطار توسيع رقعة دولته ونشر مذهب أهل السنة والجماعة، وقد شملت الدولة المرابطية أيضا بلاد الأندلس؛ بعد سلسلة جوازات قام بها الأمير يوسف تلبية لطلب أهل تلك البلاد، بعد أن استولى النصارى على شمالها مهددين دولة الإسلام هناك، وبعد الجواز الثالث للأندلس سنة 483هـ؛ حيث استطاع فيه يوسف بن تاشفين ضم الأندلس والقضاء على ملوك الطوائف الموزعين في أصقاع البلاد، وقد كان الضعف والتشرذم والاختلاف والخيانة أبرز صفات هؤلاء الملوك، فحسم ابن تاشفين أمرهم وأنهى الدويلات التي أقاموها، فصارت البلاد

[162] علي الصلابي، **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، م.س، ص. 59.

الأندلسية موحدة وتابعة لسلطة المرابطين المركزية في مراكش، لتدخل الأندلس مع المغرب في دولة شاسعة حكمت الغرب الإسلامي لعقود.

وكان ليوسف بن تاشفين فضلا في تأسيس دولة المرابطين الكبرى، والتي أخضعت معظم المناطق المغرب الإسلامي من المغرب الأقصى والجزء الغربي من المغرب الأوسط ثم الصحراء الكبرى بالإضافة إلى الأندلس، حيث استطاع يوسف وقف زحف المماليك الصليبية وإنقاذ المسلمين هناك؛ بعد أن خاضت الجيوش المرابطية معارك ضد النصارى ومن أهمها معركة الزلاقة عام 479هـ، وقد ازدهرت الدولة المرابطية على يد يوسف بن تاشفين ازدهارا كبيرا على المستوى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وكان عهد الأمير يوسف يسمى بالعصر الذهبي للمرابطين حيث عرف بتقريبه للفقهاء واستفتائه للعلماء حتى كانت دولة المرابطين تسمى بدولة فقهاء، كما أنها عرفت بدولة الجهاد والرباط؛ حيث أصبح الجهاد هو الدعامة الأساسية التي قامت عليه هذه الدولة من أجل نشر الإسلام وتبليغ الدعوة، وقد ظهرت هذه الدولة في البداية بالمغرب من أجل محو زندقة الإمارات المنحرفة، وجاهدت ضد الروافض البجلية والبرغواطيين المارقين من الدين، كما أن جهادها الأبرز كان في الأندلس ضد المماليك النصرانية والصليبيين المتدفقين والهادفين إلى القضاء على المسلمين، وما زال المرابطون يجاهدون في الثغور الأندلسية المتاخمة مع النصارى، من القشتاليين والنفاريين والبرتغال وأراغون، إلى أن انتهى أمر دولتهم بالزوال إثر الثورة الموحدية.

ويعد يوسف بن تاشفين المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين، لكونه من أنشأ مؤسستها ووسع نفوذها إضافة إلى تشييده عاصمتها مدينة مراكش سنة 454هـ، كما أنه أول من سمى نفسه أمير المسلمين؛ وتسمي الأمراء المرابطين من بعده هذا الاسم، وهذا بفعل التقارب بين يوسف والخلافة العباسية في المشرق، وقد اعترف ابن تاشفين بالخلفاء العباسيين بصفتهم حاملي لقب أمير المؤمنين وقدم لهم الاحترام والتقدير، كما أصبحت الدولة المرابطية دولة تابعة بشكل مستقل لخلافة بنو العباس في بغداد، واعترف العباسيون بدورهم بالأمراء المرابطين وعلى رأسهم يوسف بن تاشفين، وأيضا بدولة المرابطين كدولة إسلامية حملت لواء الإسلام وجاهدت في سبيل الله، لكن ما لبثت هذه الدولة إلى أن ضعفت بعد وفاة يوسف بن تاشفين وسقطت بشكل نهائي بعد مجيء الموحدين سنة 541هـ، وبذلك تكون قد امتدت لحوالي قرن من الزمن، فصارت دولة المرابطين التي أسسها يوسف بن تاشفين من أقوى دول الإسلام في التاريخ.

المبحث الثالث: الظروف التاريخية والعامة في عهده

نشأت شخصية يوسف بن تاشفين كشخصية تاريخية بارزة؛ في ظروف سياسية تاريخية معقدة، فقد انقسم العالم الإسلامي وضعفت الخلافة العباسية في المشرق، وعاش المغرب تمزقا سياسيا ومذهبيا جراء الأثار العبيدية (الفاطمية) وما خلفتها في شمال إفريقيا، وظهرت دول ملوك الطوائف في الأندلس؛ بعد سقوط الخلافة الأموية في قرطبة ثم استيلاء النصارى على أزيد من نصف شبه الجزيرة الإيبيرية، وكانت مصر تحت الحكم العبيدي الرافضي، وفي الشام بدأت تظهر بواكير الحملة الصليبية الأولى على سواحلها ، وقد حكم السلاجقة المشرق الإسلامي؛ حيث دخلت بغداد عاصمة بنو العباس تحت الوصاية السلجوقية، التي اتسعت وأصبحت دولة كبيرة حكمت بلاد فارس والعراق والشام إضافة إلى شبه الجزيرة العربية، لكن ما لبثت دولة السلاجقة هذه إلا أن ضعفت وبدأت مظاهر الانقسام عليها تدب فيها، فأصبحت لقمة سائغة في وجه الصليبيين الذين احتلوا فلسطين والأراضي المقدسة.

1-في أوروبا:

عاشت أوروبا خلال العصور الوسطى حقبة في غاية الاضطراب والفوضى؛ حيث عرفت في التاريخ بالفترة المظلمة، والتي بدأت مند سقوط الإمبراطورية الرومانية إثر اجتياح القبائل الجرمانية لروما والغرب الأوروبي في القرن الخامس الميلادي، فدخلت أوروبا تحت سيطرة الكنيسة وانقسمت إلى إقطاعات كبرى يحكمها النبلاء ورجال الدين، أما في الشرق الأوروبي الذي مازال خاضعا للروم؛ حيث الامبراطورية الرومانية الشرقية البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية، والتي كانت تحكم شرق أوروبا بالإضافة إلى آسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا، إلا أن المسلمون استطاعوا فتح هذه المناطق الأخيرة مند القرن السادس للميلاد بعد حروب طويلة مع بيزنطة.

وفي القرن الحادي عشر للميلاد حيث عاش يوسف بن تاشفين؛ تحشدت القوى الأوروبية من جديد من أجل محاربة الإسلام والمسلمين، فتمكنت من السيطرة على شمال الأندلس والتمدد نحو الجنوب فيما يسمونه بالحروب الإستردادية، حيث استغلوا ضعف المسلمين هناك وتفرق أمرهم، كما تمهدت الأحداث بأوروبا في هذا العصر إلى انطلاق الحروب الصليبية، بعد مؤتمر كليرمونت عام 1095م، والذي نادى فيه البابا أوربانوس الثاني إلى إعلان الحرب المقدسة على المسلمين وانتزاع بيت المقدس منهم، فتحشدت قوات أوروبا فاستجاب الفرسان والأمراء الصليبيون لنداء البابا، لتنطلق الحملة الصليبية الأولى عام 1099

للميلاد الموافق لسنة 490 للهجرة، واستطاعت احتلال القدس بعد أن استباحت كل من فيها، فكان هذا نوع أخر من الصدام بين العالم الإسلامي والعالم النصراني.

2-في المشرق الإسلامي

كان المشرق الإسلامي يعاني من اضطرابات كثيرة طوال القرن الخامس الهجري، فقد دخلت الخلافة العباسية مرحلة الضعف مند القرن الثالث للهجرة، حيث لم تعد تسيطر إلا على بغداد وأجزاء من العراق. ومع بداية القرن الخامس للهجرة؛ أي الفترة التي عاشها يوسف بن تاشفين كانت خلافة بغداد تحت الوصاية البويهية، حيث لم يعد الخلفاء العباسيين يتمتعون بسلطة فعلية بل صاروا مجرد رمز روحي، فتحكم الأمراء البويهيين في أمور الخلافة والدولة، وكانوا يحملون الفكر الشيعي؛ فساءت أمور المشرق في كل من العراق وفارس وخراسان، وإضافة إلى هذا فقد كانت الدولة العبيدية (الفاطمية) ذات المذهب الشيعي الرافضي المنحرف؛ تحكم مصر والشام ثم الحجاز، وقد ظهرت في هذه الفترة حركات وفرق شيعية باطنية تخريبية كالقرامطة في الجزيرة العربية، والنصيرية في الشام، إضافة إلى حركة الحشاشون في بلاد فارس، وقد تحسنت الأمور بعد ظهور السلاجقة وقضاءهم على البويهيين ونصرتهم للسنة ومحاربة الأفكار الباطنية، إضافة إلى جهادهم ضد الروم البيزنطيين في الثغور المتاخمة مع حدود دولتهم في الأناضول، كما أنهم استطاعوا القضاء على الحكم العبيدي في بلاد الشام والحجاز، فاستمرت الدولة السلجوقية حاضنة لخلافة بنو العباس على هذا المنوال إلى غاية ضعفها؛ فاصطدمت بأولى الحملات الصليبية القادمة من أوروبا، والتي استهدفت فلسطين والسواحل الشامية فتمكنت من الاستيلاء على بيت المقدس سنة 491هـ و1099م، ثم إنشاء الإمارات الصليبية في الشام، لتنقسم بعد ذلك وصاية بنو سلجوق إلى مقاطعات عديدة سميت بالأتابكية.

3-في المغرب الإسلامي

المغرب الإسلامي حيث ولد ونشأ يوسف بن تاشفين كان في وضع سيئ ومهلهل، فقد عانى كثيرا من التجزئة القبلية والطائفية، وظهر على شكل إمارات مستقلة ذات توجهات خارجة عن الدين، وقد أسفر عن هذا الانقسام دخول منطقة الغرب الإسلامي في حالة من الفوضى والفراغ السياسي؛ نتيجة عن غياب الخلافة والوحدة الإسلامية، فقد عاش شمال إفريقية آثار العبيدية الرافضة الذي خلفت اتجاهات انحرافية وكيانات ضالة، وكان من بين الإمارات المتواجدة بمنطقة المغرب الأقصى: إمارة مغراوة في فاس، وبورغواطة بتامسنا، وإمارة بنو يفرن في سلا، ثم بني خزرون في سجلماسة، إضافة إلى إمارة غمارة ونكور في الشمال، وقد تشكلت معظم هذه الإمارات من القبائل الزناتية المسيطرة على الشمال المغربي، وقد كانت هذه الكيانات ذات مذاهب مختلفة بعيدة عن أهل السنة والجماعة، وكان البورغواطيون الأكثر

زندقة وانحرافا عن الدين؛ فقد كانت نحلتهم زنديقية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، حيث كانوا في ضلال وجهل كبير. وإضافة إلى هذا كان الجنوب المغربي يتضمن طوائف عديدة؛ كالروافض والشيعة البجلية في سوس وبالضبط بتارودانت وينتمون إلى عبد الله البجلي، وإلى جانبهم قوم من الوثنيين، ويتميز بلاد المغرب في هذه الفترة من بدايات القرن الخامس للهجرة؛ بتعدد قبلي مستقل ومنفصل، فتجد المصامدة في الجبال المتوسطة والزناتيون في الشرق الشمالي للمغرب الأقصى، إضافة إلى كون بعض مدن الشمال كسبتة وطنجة توابع للأندلس.

وفي المغرب الأوسط وإفريقية الذي كان تحت سيطرة كل من إمارتي الزيرية والحمادية؛ التي كانتا تابعتين للدولة الفاطمية، إلا أن إقدام الأمير الزيري المعز بن باديس على التمرد ضد العبيديين وموالاة العباسيين وتعزيز المذهب السني بالمنطقة؛ قد أثار غضب الدولة العبيدية مما دفع الأخيرة إلى إرسال عرب بني هلال وبني سليم عن طريق ترحيلهم إلى إفريقية، فهاجرت هذه القبائل العربية البدوية إلى المغرب الأدنى(إفريقية)؛ قصد الإستقرار فيه بخطة من العبيديون للانتقام من بنو زيري، فانتصر هؤلاء العرب على الزيريين في معركة حيدران عام 443هـ؛ مما أدى إلى انتشار هذه القبائل من عرب بنو هلال وبنو سليم في إفريقية والمغرب الأوسط كغزاة للمنطقة.

أما في الأندلس التي لم يكن وضعها أفضل حال من البلاد المغربية؛ بل كانت الأوضاع الأندلسية أشد خطرا، فبعد سقوط الخلافة الأموية في قرطبة سنة 422هـ إثر خلع هشام الثالث أخر خلفاء بنو أمية، تشكلت دويلات عديدة في أصقاع الأندلس عرفت في التاريخ بملوك الطوائف، بلغ عددها في البداية اثني وعشرون دويلة حيث كان كل مدينة أو منطقة أو حتى في بعض الأحيان قرية؛ يسميها صاحبها بدولة وكان يحكم هذه الدول سلالات مختلفة، وقد انفصلت هذه الدويلات منذ بداية القرن الخامس الهجري أي منذ سنة 400هـ إلى حدود سنة 407هـ[163]، وقد تغلبت الدويلات الكبرى على الدويلات الصغرى؛ فصارت ثماني دويلات بعد انحلال الخلافة، فكان الجهوريون في قرطبة، وبنو عباد بإشبيلية، وبنو الأفطس في بطليوس، ثم العامريين في بلنسية، والزيريين بغرناطة، والحموديين بمالقة، وبنو هود في سرقسطة، وذي النون بطليطلة، وكانت دول الطوائف هذه تتصارع فيما بينها وعاشت الأندلس حالة من الصراع والتمزق والتشرذم والضعف السياسي. وفي الوقت الذي كان فيه النزاع والفرقة يدب بين ملوك الطوائف؛ كانت الممالك النصرانية في الشمال تتحد تحت راية الصليب ومن أجل استكمال ما يطلقون عليه حرب الإسترداد، فاستطاعوا الإستيلاء على معظم الشمال الأندلسي وصاروا يهددون باقي الأندلس الإسلامية، ولم يبذلوا أمراء الطوائف شيئا من أجل وقف الزحف الصليبي والتهديد الذي يشكل خطرا على المسلمين؛ بل بادروا

[163] طارق السويدان، **الأندلس التاريخ المصور**، م.س، ص. 257.

إلى كسب ود أمراء النصارى من القشتاليين والنفاريين عن طريق دفع الجزية والتواطئ معهم ضد بعضهم البعض، وكان هذا ما أدى إلى سقوط طليطلة عام 478هـ كحدث مهول وفاصل في تاريخ الإسلام بالأندلس.

المبحث الرابع: بطل معركة الزلاقة الشهيرة

تعد وقعة الزلاقة واحدة من المعارك الكبرى الفاصلة في التاريخ الإسلامي، حيث انتصرت جيوش المسلمين بقيادة البطل يوسف بن تاشفين على ألفونسو السادس قائد النصارى في الأندلس، بموضع سمي بالزلاقة قرب بطليوس إحدى المدن الأندلسية وذلك في سنة 479هـ، وقد جاء هذا بعد أن استنجد أهل الأندلس وعلى رأسهم المعتمد بن عباد ملك إشبيلية؛ بيوسف بن تاشفين زعيم دولة المرابطين القوة الصاعدة والتي حكمت بلاد المغرب، وكما سلف الذكر فقد كانت بلاد الأندلس تعيش أوضاع صعبة بعد ذهاب أمر الخلافة وتفرقها إلى دويلات موزعة على أنحاء البلاد، لتدخل الأندلس عصر ملوك الطوائف المعروفون بالضعف والنزاع فيما بينهم؛ إضافة إلى الخيانة والتآمر مع أعدائهم النصارى ضد إخوانهم، واستمر الحال على هذا المنوال إلى غاية سقوط طليطلة سنة 479هـ بيد الجيوش النصرانية، وقد أدى هذا الحدث إلى حالة فزع وذعر في أرجاء البلاد؛ وتخوف أمراء الطوائف على مدنهم و صاروا يضنون في أن دورهم قادم، فبادروا إلى طلب العون والمساعدة من الأمير المرابطي يوسف؛ الذي لم يتوارى عن تلبية نداء المسلمين من أهل الأندلس. فجاز لأول مرة البحر نحو البلاد الأندلسية قصد الجهاد في سبيل الله وردع الخطر الصليبي، وبعد عبوره اجتمع بقواته مع قوات ملوك الطوائف وتوحه بها إلى سهل الزلاقة لمواجهة النصارى من مملكة قشتالة وليون وإمارة البرتغال، حيث توحدوا جميعا تحت قيادة الملك القشتالي ألفونسو السادس؛ الذي يحلم بالسيطرة على الأندلس والقضاء على دولة الإسلام فيها، فبدأ استعداداته فجمع قوات الفرنجة وكتب إلى ملك أراغون وملك فرنسا يسأله المدد والعون، وأرسل إلى جليقية ونافارة، وأعلن البابا حربا مقدسة فأرسل الرهبان والقساوسة لتصير حربا صليبية؛ بالإضافة إلى بعث متطوعين من ايطاليا ليجمع خمسين ألفا بينما المسلمون لم يتجاوزوا خمسة وعشرون ألفا [164]، واستمرت المعركة لساعات طويلة كانت الغلبة في البداية للنصارى، وبفضل يوسف بن تاشفين صاحب الخطة الذكية التي تم التطرق إلى ذكرها في الفصول السابقة، تم النصر للمسلمين وسحق الجيش النصراني وأبيدت حاميته عن بكرة أبيها، إضافة إلى أن ألفونسو نفسه قد جرح وفر بقليل من جيشه من أرض المعركة التي تعد من أقوى معارك الأندلس.

[164] نفسه، ص ص. 288،290.

جاء النصر للجيش الإسلامي بفضل خطة يوسف بن تاشفين العبقرية؛ والتي اقتصرت على اللف حول جيش العدو وإحراق حاميته ومعسكره، وهذا دليل على الموهبة والخبرة العسكرية للأمير يوسف، وقد قاد المعركة وهو في التاسعة وسبعين من عمره، ورغم تقدمه في السن إلا أن له كل الفضل على بلاد الأندلس حيث بفضل هذا الظفر والإنتصار في الزلاقة؛ أجل سقوط الأندلس لما يقارب أربعة قرون أخرى، ويمكن القول بأن يوسف بن تاشفين كشخصية قيادية عسكرية تاريخية إسلامية وخطته الحربية؛ هي سبب النصر والمجد الذي حظيت به الأندلس بعد هذا التاريخ، هذه الخطة التي تشبه إلى حد ما؛ خطط خالد بن الوليد (رضي الله عنه) المميزة والتي قادت المسلمون إلى الفتوحات الإسلامية في العصور الأولى، كمعركة اليرموك والتي انتصر فيها المسلمون على الروم البيزنطيون وفتحت بها الشام، إضافة إلى أن شجاعة يوسف كشجاعة سعد بن أبي وقاص(رضي الله عنه)؛ في معركة القادسية التي أنهت امبراطورية الفرس الساسانية ودخلت فيها جيوش الإسلام إلى العراق وفارس، كما أن الزلاقة تجسد صمود المسلمين كصمودهم من قبل في معركة بلاط الشهداء الكبرى؛ والتي استشهد فيها عبد الرحمن الغافقي.

كانت معركة الزلاقة هذه أكبر تجسيد لجهاد يوسف بن تاشفين ونصرته للإسلام، فقد تحدث المؤرخون إلى أن يوسف تسمى منذ تاريخ هذه المعركة بلقب أمير المسلمين؛ حيث أطلق أمراء الأندلس وملوك الطوائف هذه التسمية عليه، وذلك على إثر انتصاره الباهر على النصارى في المعركة، وصار ابن تاشفين بعد هذه الموقعة شخصية ذات هيبة ذائعة الصيت في العالم الإسلامي، وأعاد لمسلمي الأندلس مجدهم الغابر والذي غاب منذ عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر، كما أن هذه الوقعة قد مهدت فيما بعد؛ لإنهاء فترة ملوك الطوائف ودخول الأندلس تحت سلطة المرابطين، وإنقاد ما بقي منها من ضياع محقق.

اتخذت هذه المعركة في خلفيتها طابعا صليبيا؛ حيث كانت بمباركة بابا روما نفسه، وليوسف بن تاشفين فضل أخر في هذه الواقعة؛ حيث أن بفضل جهاده في الأندلس يكون قد صد الحملة الصليبية الإسبانية وشغلها عن المشاركة في الحروب الصليبية الأوروبية على المشرق، وقد سجل التاريخ لمعركة الزلاقة هذه كواحدة من المعارك الحاسمة في الإسلام عبر قرونه الطويلة، فهي تندرج ضمن قائمة الوقعات المجيدة كغزوات الرسول عليه الصلاة والسلام ومعارك الراشدين، إضافة إلى الموقعات الكبرى في تاريخنا؛ كمعركة حطين سنة 583هـ والتي سحق فيها الناصر صلاح الدين الأيوبي جيوش الصليبيين واستطاع تحرير القدس منهم، ثم معركة عين جالوت عام 658هـ وبطلها سيف الدين قطز قائد المماليك الذي صد وهزم جحافل المغول والتتار وحرر الشام منهم وأنقد مصر، بالإضافة إلى معركة ملاذكرد سنة 464هـ حيث تمكن السلطان السلجوقي ألب ارسلان من هزيمة البيزنطيين وأسر إمبراطور الروم رومانوس الرابع، وتأتي الزلاقة التي أظهرت نورا وعزة لدولة الإسلام بالأندلس؛ بعد ما عرفته من ذل وهوان قبلها في عصر ملوك الطوائف، وكان قائدها الأمير يوسف بن تاشفين صاحب النصر العظيم والظفر والمجد

والفضل والكرامة، حيث كان من أهم نتائج المعركة هي أنها مدت من عمر الأندلس لما يقارب أربعة قرون.

المبحث الخامس: توحيد المغرب والعلاقات مع المشرق

منذ أن تولى يوسف بن تاشفين مقاليد الحكم والسلطان ببلاد المغرب عام 454هـ، سعى بكل بحزم وجد على توحيد أقاليم المغرب الأقصى الممزقة على شكل إمارات مختلفة الأشكال والألوان، فقد سارت الجيوش المرابطية تجتاح المغرب من الجنوب إلى الشمال منذ الإنتصار في معركة الواحات سنة448هـ؛وفتح سجلماسة والقضاء على إمارة بني خزرون، ثم الدخول إلى بلاد السوس وقاعدتها تارودانت التي كانت معقلا للشيعة البجلية، ومن تم الاستيلاء على أغمات الخاضعة لسلطة المغراويين، وقد اشتعلت معارك عدة وعنيفة بين المرابطين وإمارة بورغواطة؛ التي تعد من أقدم الإمارات المستقلة بالمغرب، كما أنها اكثر الإمارات زندقة وخروجا عن الإسلام، وخلال هذه المواجهات ضد البورغواطيين سقط عبد الله بن ياسين مؤسس الحركة المرابطية شهيدا في ساحة الحرب. وبعد إمساك يوسف بزمام إمارة المرابطين؛ بنى مراكش وسط المغرب كعاصمة لدولته، ثم أقدم على تحرير فاس وضم الأقاليم الشمالية؛ بعد معارك طاحنة ضد إمارة مغراوة ونكور وغمارة الزناتية، كما تابع غزواته وصولا إلى المغرب الأوسط في حدود مدينة الجزائر، ليمتد ملك ابن تاشفين إلى البحر المتوسط، فاستطاع ضم المغرب الشمالي وفتح كل من سبتة وطنجة التابعتين للأندلس أنداك؛ وذلك في حدود سنة 477هـ، وبعد إخضاع المغرب توجه يوسف إلى الأندلس ملبيا نداء أهلها المستضعفين من النصارى وملوك الطوائف، وتمكن من هزيمة الجيوش النصرانية في الزلاقة؛ وبعد ذلك سعى إلى ضم الأندلس لحكمه بعد سلسلة من الجوازات، وفي الجواز الثالث قام الأمير يوسف بإنهاء سلطة ملوك الطوائف؛ وحسم أمرهم بعد أن اشتد أمرهم على المسلمين في الأندلس، حيث كانوا خونة ومتنازعين ومتواطئين مع العدو الصليبي، وبعد جواز 483هـ بعث يوسف جيوشه إلى المدن الأندلسية فتمكن من فتحها واحدة تلوى الأخرى وأسر حكامها من أمراء الطوائف؛ كقرطبة وغرناطة وإشبيلية وبطليوس وبلنسية، ثم إرسالهم إلى المغرب كما فعل بالمعتمد بن عباد الذي أرسل مأسورا إلى أغمات حيث مات بها عام 488هـ، وقد فتحت جميع المدن الإسلامية في الأندلس بوصول سنة 486هـ، على يد الجيش المرابطي ما عدا سرقسطة؛ الذي انضم حاكمها إلى دولة المرابطين، وبذلك صارت البلاد الأندلسية تحت حكم ابن تاشفين.

وقد كانت خطوات تاريخية اتخذها يوسف بن تاشفين في مراحل السيطرة على الغرب الإسلامي وتوحيده، منذ الإنطلاق من الصحراء كقائد في الجيش اللمتوني الصنهاجي؛ إلى الوصول نحو الثغور الحدودية مع

النصارى في الأندلس كأمير للمسلمين بعد جهاد كبير وإعلاء كلمة الحق، ليبني دولة المرابطين الكبرى التي تضم المغرب الأقصى والصحراء الكبرى وجزء من المغرب الأوسط إضافة إلى الأندلس، فصار يوسف سيدا لبلاد المغرب الإسلامي؛ وبعد أن رسم معالم هذه الدولة العظيمة سعى إلى تحسين العلاقات مع جيرانه من أقربائه بني حمود في إفريقية الذين يعدون من صنهاجة، كما أن يوسف بن تاشفين أقام علاقات مع المشرق الإسلامي؛ بعد أن اعترف بالخلافة العباسية واتخذ لقب أمير المسلمين وأرسل وفدا إلى بغداد، كما أن الخلفاء العباسيين المتعاقبون على الحكم في عصر ابن تاشفين؛ قد بادروا إلى إقامة صلة وعلاقات مع يوسف والاعتراف به كأمير للمسلمين وقائدا لدولة المرابطين، ولم يتواصل الأمير يوسف مع الدولة العبيدية (الفاطمية) في القاهرة؛ بحكم مذهبهم المنحرف وكونهم من الطائفة الشيعية الرافضة الإسماعيلية، كما أن علاقة المرابطين مع السلاجقة هي نفسها مع بنو العباس، بحكم كون السلاجقة وصاية على خلافة بغداد.

و كان يوسف بن تاشفين على تواصل دائم مع المشرق ويحترم مقام الخلافة ومهد الإسلام هناك، فقد أقدم يوسف على استفتاء علماء المشرق الإسلامي؛ بعد نيته في خلع ملوك الطوائف وضم الأندلس إلى حكمه، فبادر علماء المشرق بفتاويهم وعلى رأسهم حجة الإسلام أبي حامد الغزالي والعالم الجليل أبي بكر الطرطوشي؛ اللذان خولا ليوسف بضرورة القضاء على أمراء الطوائف وملوك الأندلس وإخضاعها، لكون ذلك يتفق مع مبادئ الإسلام والدعوة النبوية، وصارت علاقات الأمير ابن تاشفين مع بلاد المشرق الإسلامي علاقة وطيدة، لاسيما مع الدولة العباسية في العراق منذ تأسيس دولة المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري، وتعززت هذه العلاقة في فترة يوسف بن تاشفين رغم الضعف الذي كانت فيه الخلافة في بغداد، واستمرت هذه العلاقات وهذا التقارب بين مراكش وبغداد؛ حتى بعد وفاة يوسف وتولي الأمراء المرابطين من بعده السلطة، وحملهم للقب أمير المسلمين والتواصل مازال مستمرا مع الخلافة العباسية إلى نهاية دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين؛ الذين رفضوا الاعتراف بالعباسيين وأعلن أمراؤهم الخلافة في مراكش.

المبحث السادس: الجهاد تحت راية الخلافة العباسية

في التحقيب الزمني للتاريخ الإسلامي؛ يعد العهد العباسي هو العصر الذي عاش فيه يوسف بن تاشفين، ويعتبر الأمير يوسف من الشخصيات التاريخية البارزة في عصر الخلافة العباسية الممتد ما بين القرن الثاني إلى القرن التاسع للهجرة؛ أي على مدى سبعة قرون، وكانت الدولة العباسية في القرن الخامس الهجري قد دخلت طورها الثالث، ومنذ قيام الدعوة المرابطية في الصحراء الكبرى على يد مؤسسها عبد الله بن ياسين وهي دعوة إصلاحية سعت إلى نشر الإسلام على مذهب أهل السنة والجماعة وهو المذهب نفسه التي تتبناه خلافة بنو العباس في بغداد، كما أن انشغال المرابطين على التحول من الحركة الدعوية في الصحراء الغربية إلى بداية تأسيس الدولة والزحف نحو الشمال؛ قد واكبته بدأ عملية الجهاد ضد الإمارات والكيانات المارقة من الدين والطوائف المنحرفة والمشتتة ببقاع المغرب الأقصى، فكان عهد أبي بكر بن عمر اللمتوني هو تاريخ بدأ سك العملة المرابطية متضمنة إسم الخليفة العباسي؛ كإشارة إلى إعتراف الدولة الناشئة بالعباسيين، وبالتالي حصولها على نوع من الشرعية لتتمددها بربوع البلاد المغربية، وبعد أن تولى يوسف بن تاشفين إمارة المرابطين؛ تعزز إسم ومكانة الخلافة العباسية عند الدولة المرابطية، وعمل يوسف على توحيد جهات المغرب الممزقة والذي غابت فيه الخلافة الإسلامية منذ ثلاث قرون، لتذكر أسماء الخلفاء العباسيين في منابر المغرب بعد أن تمكن يوسف من فرض سيطرته عليه وتوحيده.

وقد حضي يوسف بسمعة مرموقة وكبيرة عند أهل الأندلس، فأرسلوا النجدة له وشكوا إليه ضعف وعجز وملوكهم وطغيان النصارى الكفار عليهم، فجاهد ابن تاشفين في الأندلس بإسم الإسلام والخلافة؛ فلقب بأمير المسلمين بعد سحقه للجيوش الصليبية في معركة الزلاقة، والتي تعد أكبر مثال على جهاد يوسف بن تاشفين الذي واصله ببلاد الأندلس حتى أخضعها ونفى عنها ملوك الطوائف المتخاذلين؛ وأمن أهلها المسلمين من النصارى الحاقدين، فأصبحت الأندلس تحت سلطة المرابطين وتوالت العطايا والهدايا على يوسف من الخليفة العباسي الذي أيده وسماه بأمير المسلمين وناصر الدين، ووافق العلماء من المشرق والمغرب على هذا الاسم الذي يحمل دلالات كبرى وشرعية لامعة على حكم يوسف للغرب الإسلامي؛ بعد أن تمكن من توحيده عن طريق جهاد امتد عبر عقود، فسار ابن تاشفين سلطان العدويتين عدوة المغرب وعدوة الأندلس، فانضوت بذلك دولة المرابطين تحت لواء الخلافة العباسية؛ والتي أيدها أهل المغرب والأندلس وباركها العلماء، وبرغم من كون حضور الخلافة مجردا اسما على النقود ودعوة في المنابر؛ إلا أن الأمر عند الأمير يوسف ذو مكانة كبيرة، حيث سعى الرجل طوال حياته إلى الوحدة الإسلامية ووحدة أمة الإسلام.

أدى اعتراف يوسف بن تاشفين بخلافة بنو العباس إلى عودة الأخيرة إلى بلاد المغرب والأندلس، بعد انقطاع دام أكثر من ثلاث قرون، حيث ألغيت الخلافة العباسية في الأندلس بعد قيام الإمارة الأموية فيها على يد عبد الرحمن الداخل سنة 138هـ، وفي المغرب بعد تأسيس الدولة الإدريسية عام 172هـ من طرف إدريس بن عبد الله العلوي، فعادت الخلافة العباسية إلى هذين القطرين؛ لكن بطريقة غير مباشرة وبحضور إسمي فقط، وقامت الدعوة لها على منابر الغرب الإسلامي في كل من المغرب والأندلس كما كانت من قبل بعد قيامها في المشرق سنة 132هـ، وليوسف الفضل الكبير في هذا لحبه لأمر الخلافة وسعيه إلى وحدة الأمة الإسلامية، فهو رجل يحترم مقام الخلفاء العباسيين لكونهم من سلالة العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، وآل بيته القرشيين أصحاب النسب الطاهر والإمامة وخلافة المسلمين، واتخذ يوسف شعار السواد في لواء الدولة المرابطية؛ وهو الشعار نفسه عند العباسيون، ويمثل اللون الأسود رمزا للوحدة الإسلامية التي تناشدها خلافة بغداد، وحققها يوسف بن تاشفين من جانبه في منطقة المغرب الإسلامي، وتجدر الإشارة أن الدولة العباسية في المشرق كانت تعاني في هذه الفترة من ضعف كبير؛ فلم يعد خلفاؤها يسيطرون إلا على العاصمة بغداد وأجزاء من حولها، وفي المقابل كان يوسف يفرض سلطانه على مناطق شاسعة في الغرب الإسلامي من الصحراء الكبرى مرورا بالمغرب الأقصى إلى الأندلس وبالإضافة إلى القسم الغربي من المغرب الأوسط، لكن بحكم تواضع يوسف وحبه لدينه وأمته فقد هدف إلى رد الاعتبار للخلافة الإسلامية والإقرار بها عند بنو العباس، حيث كرس حياته للجهاد تحت رايتهم؛ راية الإسلام.

المبحث السابع: سيرة الخلفاء الراشدين

نستطيع أن نقول إن سيرة يوسف بن تاشفين تشبه إلى حد ما سيرة الخلفاء الراشدين؛ من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام والتابعين، فهي سيرة تتميز بالتقوى والزهد والورع والتقرب إلى الله ونصرة الإسلام والجهاد في سبيل الله، فيوسف بن تاشفين يعتبر من أبرز أقطاب الجهاد بالمغرب الإسلامي، حيث تفرغ في حياته لنشر الدين والعمل به من أجل إعلاء كلمة الله ورفع راية الإسلام والسعي نحو توحيد الأمة.

في بداية سيرته الجهادية واجه يوسف بن تاشفين في المغرب إمارات خارجة عن الإسلام وطوائف منحرفة مارقة من الدين، وهذا يذكرنا بالخليفة الراشدي الأول أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)؛ الذي واجه المرتدين في جزيرة العرب والتي ارتدت ما عدا مكة والمدينة والطائف، واستطاع أبو بكر(رضي الله عنه) في ظرف أقل من سنتين إعادة جميع أقاليم شبه الجزيرة العربية إلى ضلال الإسلام وتوحيدها من جديد ضمن الدولة الإسلامية التي كانت عاصمتها المدينة المنورة، وقد كرر مثل هذه التجربة الأمير يوسف الذي استطاع القضاء على الكيانات المتوزعة بأنحاء المغرب وتوحيدها جميعا تحت لواء الإسلام وسلطة

الدولة المرابطية وعاصمتها مراكش، وبالإضافة إلى توحيده لبلاد الأندلس مع المغرب الأقصى؛ والجزء الغربي من المغرب الأوسط والصحراء الكبرى في دولة كبيرة ممتدة الأطراف، وهذا إنجاز شبيه بما حققه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الخليفة الراشدي الثاني، الذي تمكن من توسيع الدولة الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية وفتح بلاد الشام والعراق ومصر وفارس، على يد قادته الفاتحين كعمرو بن العاص وأبو عبيدة الجراح ويزيد بن أبي سفيان وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وهم من الصحابة الكرام، واستطاع عمر (رضي الله عنه) القضاء على أقوى الإمبراطوريات في ذاك العصر، حيث تمكن من إنهاء الإمبراطورية الفارسية الساسانية وفتح بلاد العراق وفارس، إضافة إلى سحقه لجيوش الإمبراطورية الرومانية البيزنطية وانتزاع بلاد الشام ومصر منها، وبالموازات مع ذلك فقد قام ابن تاشفين بمحو إمارات المغرب وضم دويلات الطوائف بالأندلس، بعد أن صد الجيوش الصليبية للممالك النصرانية في معركة الزلاقة؛ التي تندرج ضمن قائمة تضم كل من معركة اليرموك والقادسية الواقعتين في العهد الراشدي، وقد حقق يوسف هذه التوسعات في أنحاء الغرب الإسلامي عن طريق قادته العسكريين؛ من أمثال سير بن أبي بكر وابن عائشة والمزدلي وصالح بن عمران ثم محمد بن الحاج، وقد بلغت دولة المرابطين أوجها في عهد يوسف بن تاشفين، كما ازدهرت الدولة الإسلامية في عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وكان يوسف يمتاز بكثرة العفو والصفح وطيبة القلب، كما كان علي بن أبي طالب الخليفة الراشدي الرابع (رضي الله عنه). وبعد أن بسط يوسف سلطانه على البلاد المغربية والأندلسية ألغى الضرائب الغير الشرعية كالمكوس وغيرها؛ والتي أنهكت الناس واكتفى بتلك التي هي شرعية كالزكاة، ليعم الرخاء الاقتصادي والاستقرار السياسي والاجتماعي، كما عرف عهد الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز والذي لقبه المؤرخون بخامس الخلفاء الراشدين، حيث اشتهر بالإصلاح الإداري والمالي ورده للمظالم والعدل بين رعيته.

اعتبر بعض المفكرين والباحثين من أمثال (طارق السويدان)؛ الأمير يوسف بن تاشفين سادس الخلفاء الراشدين، وهذا جاء انطلاقا من دراسة سيرته العطرة وإنجازاته العظيمة والتي أنارت طريق الحق والإسلام، وانطلاقا مما سلف عن دراستنا ليوسف بن تاشفين نجده يستحق هذا اللقب بجدارة، مع أن بعض المؤرخين ينسبون لقب سادس الخلفاء الراشدين لنور الدين زنكي أتابك الموصل؛ والذي عرف بالقائد المجاهد الذي رسم خطة طرد الصليبيين من الشام، وبالرغم من هذا فإن يوسف بن تاشفين؛ هذا الأمير الذي يفوق نور الدين زنكي من حيث إنجازاته وبطولاته والتي حققها على المستوى الديني للإسلام وعلى المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي للمسلمين في بلاد المغرب، فالخلفاء الراشدون الأربعة والأئمة المهديون إضافة إلى الخليفة الأموي ابن عبد العزيز؛ تميزوا بالعدل وحب الدين ونشر الإسلام ونصرة الحق، مع ذكر صفات الورع والزهد والتواضع، وهي سمات مجتمعة في يوسف بن تاشفين والتي ذكرتها المصادر، فقد ابتعد يوسف عن حياة القصور الفخمة وعيش الترف والبذخ، وعاش حياته زاهدا ورعا؛

رغم ما أتاه الله من ملك وسلطان، فكان طعامه الشعير ولحوم الإبل وألبانها ولباسه الصوف، وقد أجمع المؤرخون عن صفات يوسف الراقية والتي تؤهله إلى أن يكون ضمن قائمة الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعين، ومن الذين اصطفاهم الله تعالى لخدمة هذا الدين الحنيف.

الخـــتام

قدمت الكتابات التاريخية إذن؛ يوسف بن تاشفين في شخصيته الفذة وسيرته العطرة ومسار حياته الحافل بالنجاح والتجربة الجهادية، في صورة رائعة حول بطل مسلم خدم دينه ونصر أمته عبر نصف قرن من الزمن، ورغم اختلاف هذه الكتابات وتنوع أشكالها وألوانها؛ إلا أنها اجتمعت في ذكر هذا الرجل ومكانته التاريخية العظيمة، فيوسف بن تاشفين يعتبر من عظماء المسلمين وكبارهم؛ لكنه لم يأخذ من الاهتمام التاريخي حقه إلا قليلا، مع كونه من القادة الذين جددوا للأمة أمر دينها وساهموا في ترسيخ حضارتها وقيمها المثالية. فهو الذي أعاد أقاليم المغرب الممزقة إلى المذهب السني والعقيدة الصحيحة؛ بعد أن كان متعدد الكيانات والإمارات المارقة من الدين، فأسس مراكش وجعلها حاضرة المغرب الكبرى وعاصمة لدولته دولة المرابطين، وأنقد الأندلس بعد الجواز إليه وإلحاق الهزيمة بالنصارى الصليبيين في معركة الزلاقة وخلع ملوك الطوائف المتناحرين، ومن تم ضم البلاد والعباد لينتهي بتوحيد الغرب الإسلامي تحت لواء سلطة الدولة المرابطية؛ التي حكمت بسلطنة شرعية بعد موالاة الخلافة العباسية، واتخاذ أمرائها لقب أمير المسلمين؛ وعلى رأسهم يوسف بن تاشفين الذي ابتدأ بالأمر، واستطاع يوسف ان يحفر اسمه بماء من الذهب في ذاكرة التاريخ والحضارة الإسلامية.

وقد كان الهدف من الدراسة التعريف بيوسف بن تاشفين؛ ورد الاعتبار التاريخي إليه، إضافة إلى التوعية بقدوته وتوسيع الاهتمام بشخصيته الفريدة والعظيمة، وصحيح أن هناك دراسات اهتمت بهذا البطل؛ لكن تظل محدودة تقريبا، فقد تم عادة الإشارة إلى يوسف بن تاشفين في الكتب التاريخية العامة والتي تلخص تاريخ الإسلام أو تاريخ المغرب والأندلس أو تاريخ دولة المرابطين، وقد اعتمدت هذه المؤلفات بالأساس على المصادر التقليدية المؤرخة في زمن وعصر يوسف بن تاشفين؛ أو بتعبير أخر المعاصرة له، من أمثال مؤرخين أرخوا ليوسف ضمن كتاباتهم الملحمية كابن خلدون في عبره وتاريخه الشهير، وابن الأثير في مؤلفه الضخم "الكامل في التاريخ"، ثم مؤرخين من المغرب كالمراكشي والفاسي، إضافة إلى كتب السير والتراجم التي صنفت شخصية يوسف بن تاشفين؛ من الأعلام التي صنعت التاريخ لمؤلفين بارزون كالذهبي والحنبلي وابن الخطيب وابن خلكان. وقد اجتمعت هذه الكتابات المختلفة المشارب في التأكيد بكون يوسف بن تاشفين رجل يستحق الوقوف عنه؛ ويجب ادراجه كعنصر فاعل في تاريخنا ضمن مناهج التعليم والبحث العلمي.

وفي الختام نكون قد أتممنا هذا العمل وهذا البحث بفضل من الله وعونه، فهذا البحث المتواضع هو في حد ذاته بحث في العقيدة والهوية والدين والثقافة والانتماء الحضاري، بإعتبار يوسف بن تاشفين نموذج مثالي

لذلك، وبالتالي نستطيع ان نقول بكل جدارة وفخر أن يوسف بن تاشفين واحد من أجدادنا العظماء الذين صنعوا التاريخ ونصروا الإسلام

تـــــــــــم بحـــــــمد اللـــــــــه

وتـــــــوفيـــــــــقه

قائمة البيبليوغرافيا

المصادر المعتمدة:

- عبد الرحمن بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، [ج 6 من أصل 8 أجزاء]، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت،1421هـ-2000م.
- أحمد الناصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، [ج 2 من أصل 3 أجزاء] تحقيق محمد عثمان، ط.2، دار الكتب العلمية، بيروت، ج.2، 2010م
- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، [ج 2 من أصل جزآن] تحقيق محمد العرب، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ-2005م.
- علي بن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة الوراقة، الرباط، 1972م.

- شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، [ج 19 من أصل 21 أجزاء] تحقيق شعيب الارنؤوط، ط.11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ-1996م.
- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط.1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ-1979م.

- ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، [ج 4 من أصل 4 أجزاء] تحقيق محمد عبد الله عنان، ط.1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1398هـ-1977م.
- ابن عماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، [ج 5 من أصل 10 أجزاء] تحقيق عبد القادر الارنؤوط محمد الارنؤوط، ط.1، دار ابن كتير، دمشق، بيروت، 1420هـ-1989م.

- ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، [ج 7 من أصل 8 أجزاء] تحقيق إحسان عباس، ط.1، دار صادر، بيروت، ج.7، 1398هـ-1978م.

- ابن العذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، [ج 4 من أصل 4 أجزاء] تحقيق إحسان عباس، ط.3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
- عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، ط.3، القاهرة، 1383هـ-1963م.
- أحمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، [ج 4 من أصل 8 أجزاء] تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1388هـ-1968م.
- جلال الدين السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ط.1، دار ابن الحزم، بيروت، 1424هـ-2003م.

المـــــراجـــــع :

- حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته،** [ج 2 من أصل 3 أجزاء] ط.1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1412هـ -1992م
- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ،** [ج 1 من أصل 4 أجزاء]، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1420هـ-2000م.
- حامد محمد الخليفة، **انتصارات يوسف ين تاشفين بطل معركة الزلاقة وقائد المرابطين موحد المغرب ومنقد الأندلس من الصليبيين،** ط.1، مكتبة الصحابة، الامارات، مكتبة التابعين، القاهرة، 1425هـ-2004م.
- علي محمد الصلابي، **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين،** ط.1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1424هـ-2003م.
- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام: السياسي، الديني، الثقافي، الاجتماعي،** [ج 4 من أصل 4 أجزاء]، ط.15، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة، 1422هـ-2001م.
- حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس: عصر المرابطين والموحدين،** ط.1، مكتبة الخانجي، مصر،1980م.
- طارق السويدان، **الأندلس التاريخ المصور،** ط.1، شركة الإبداع الفكري، الكويت، 1426هـ-2005م.
- شوقي أبو خليل، **الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين،** ط.2، دار الفكر للطباعة والتوزيع، دمشق، 1980م.
- إبراهيم الهلالي، **حضارة مراكش والإشعاع الفكري لجامعة ابن يوسف،** [ج 1 من أصل جزآن]، ط.1، المطبعة الوراقة الوطنية، مراكش، 2001م.
- علي محمد الصلابي، **فقه التمكين عند دولة المرابطين،** ط.1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 1428ه-2006م.
- كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية،** نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط.15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.
- محمد القبلي، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب،** ط.1، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، 2011م.
- محمد محمود بن بيه، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين،** ط1، دار الأندلس الخضراء، جدة، دار ابن حزم، بيروت، 1421هـ-2000م.

الفهرس

المقدمة..... 3

الفصل الأول: يوسف بن تاشفين في المصادر الأصلية.....6

تمهيد.....7

المبحث الأول: نسبه، صفاته ونبوغه.....7

المبحث الثاني: من قيادة الجند إلى حكم الدولة.....10

1- يوسف القائد العسكري المرابطي.....**10**

2- ثاني أمراء المرابطين.....**11**

المبحث الثالث: بناء حاضرة مراكش.....12

المبحث الرابع: دخول فاس واستكمال وحدة المغرب.....14

1- الدخول إلى فاس.....**14**

2- تحرير الشمال المغربي.....**16**

المبحث الخامس: الجواز إلى الأندلس وموقعة الزلاقة.....17

1- الجواز الأول.....17

2- وقعة الزلاقة.....19

3- الجواز الثاني.....21

المبحث السادس: ضم الأندلس وتوحيد الغرب الإسلامي.....22

1- الجواز الثالث نحو الأندلس وحكم البلاد.....22

2- توحيد الغرب الإسلامي.....23

المبحث السابع: أمير المسلمين وناصر الدين.....25

الفصل الثاني: الدراسات الحديثة حول يوسف بن تاشفين.....29

تمهيد.....30

المبحث الأول: نشأته وبداياته.....30

1- النشأة.....**30**

2- البداية والإنطلاقة.....31

المبحث الثاني: توليه مقاليد الحكم والإمارة.....32

المبحث الثالث: تأسيس مراكش ودخول فاس.....34

1- بناء العاصمة مراكش.....34

2- الدخول إلى فاس وتحرير شمال المغرب.....35

المبحث الرابع: وقعة الزلاقة والجواز الأول نحو الأندلس.....36

1- جواز الأندلس الأول.....37

2- موقعة الزلاقة.....38

المبحث الخامس: الجواز الثالث وحكم البلاد.....40

1- جواز الأندلس الثاني.....40

2- الجواز الثالث وضم الأندلس.....41

المبحث السادس: بطل الغرب الإسلامي وسلطان العدوتين.....42

المبحث السابع: لقب أمير المسلمين والشرعية في الحكم.....44

الفصل الثالث: الصورة الكاملة ليوسف بن تاشفين.....47

تمهيد.....**48**

المبحث الأول: الأمير القدوة وأحد عظماء الإسلام.....48

المبحث الثاني: المؤسس الفعلي لدولة المرابطين.....49

المبحث الثالث: الظروف التاريخية العامة في عهده.....52

1- في أوروبا.....52

2- في المشرق الإسلامي.....53

3- في المغرب الإسلامي.....53

المبحث الرابع: بطل معركة الزلاقة الشهيرة.....55

المبحث الخامس: توحيد المغرب والعلاقات مع المشرق 57

المبحث السادس: الجهاد تحت راية الخلافة العباسية.....58

المبحث السابع: سيرة الخلفاء الراشدين.....60

الختام.....63

قائمة البيبليوغرافيا.....**65**